سلسلة قراءات في كتاب (5)

قراءات في إصدارات المؤرخ السوداني

حاتم الصديق

الجزء الخامس

إعداد وتحرير: **د. عـوض شـبّا**

الطبعة الأولى
2025م

سلسلة قراءات في كتاب (5)

قراءات في إصدارات المؤرخ السوداني

حاتم الصديق

الجزء الخامس

إعداد وتحرير

د. عـوض شـبَّا

الطبعة الأولى

2025م

قراءات في إصدارات المؤرخ السوداني

حاتم الصديق

إعداد وتحرير: **د. عـوض شـبَّا**

الإيداع القانوني

...../2025م

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution

الناشر
دار آريثيريا للنشر والتوزيع – الخرطوم – السـودان
جوال: 121566207 - 00249122094856
البريد لإلكتروني: arithriaforpublishing@gmail.com

تاريخ النشر:
الطبعة الأولى – 2025م
جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر والمؤلف

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه كنسخة إلكترونية أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من المؤلف والناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾

(سورة الفاتحة: الآية 1)

المحتويات

الموضــوع	الصفحة
تقديم (1)	7
تقديم (2)	11
قراءة (1)	15
قراءة (2)	43
قراءة (3)	48
قراءة (4)	53
قراءة (5)	61
قراءة (6)	67
قراءة (7)	71

تقديم

1

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وبعد ،،

القارئ الكريم هذا هو الجزء الخامس من سلسلة قراءات في إصدارات المؤرخ السوداني /حاتم الصديق، وهو كما أسلفنا في الأجزاء السابقة رصد ومتابعة وتجميع للقراءات التى كُتبت عن إصداراته العديدة والمتنوعة من خبراء مختصين وباحثين من داخل السودان وخارجه، ومن زوايا ورؤى مختلفة على حسب نظرة وتخصص صاحبها، وموضوع الكتاب الذي بين أيدينا والموسوم (البريد في الدولة المهدية بالسودان (1302-1316هـ/1885-1898م)، وهو بحث رصين وقيم يسلط الضوء على حقبة زمنية مهمة في تاريخ السودان، حيث يوثق لوسائل الاتصال والبريد خلال فترة الدولة المهدية بالسودان (1302-1316هـ/ 1881-1898). ليعكس استكشاف أبعاد نظام البريد في سياق التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي شهدتها تلك الحقبة المهمة في تاريخ السودان.

عند اطلاعي على هذا الكتاب خرجت بانطباعين أساسيين، وهما: الأول أن معظم المعلومات الواردة في الكتاب جديدة بالنسبة لي كمؤرخ ومهتم بتاريخ

السودان، والثاني هو مقدرة الكاتب على عرض هذه المعلومات بطريقة سلسلة متسلسلة.

من خلال استعراضنا في هذا الكتاب للقراءات في البريد في المهدية توضح لنا جوانب جديدة لموضوع البريد، فقد رصد وحلل الدكتور محمد الواثق عبدالحميد الجريفاوي في عرضه الشامل المناهج العلمية التي استند عليها المؤلف في دراساته المختلفة في فترة المهدية في السودان، مؤكداً أن البريد كان عنصراً أساسياً في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في القرن التاسع عشر الميلادي بالسودان. وأن الكتاب يعتبر مرجع مهم ورئيس لفهم نظام البريد في تنظيم الدولة المهدية. ولفت الانتباه البروفيسور/ على عبد الكريم محمد بركات في قراءته المتميزة إلى جانب مهم برز في إصدارات الكاتب الأخيرة وهو ثقافة الإشباع البصري المعزز للمعلومة التاريخية المتمثل بالصورة الفوتوغرافية لمعظم تفاصيل الكتاب، وأشار إلى أن هذا الكتاب سيفتح باباً للدراسات السودانية عن تفاصيل حضارية للبريد في السودان في حقول مختلفة. وفي ذات التوجه أضاف الدكتور/ صلاح التوم إبراهيم إهتمام الكاتب بالجانب التوضيحي من رسومات توضيحية في غاية الأهمية بجانب الخرط التاريخية والجغرافية واعتماده على الوثائق كمرجعية للكتاب الذي يعد مصدراً جديراً بالاقتناء.

في قراءته الوصفية الشارحة للدكتور فتح الرحمن العراقي عدد أهمية الكتاب من كون مؤلفه يعد من أبرز المساهمين من الجيل المعاصر من المؤرخين الذين تصدوا للتوثيق لتاريخ الثورة والدولة المهدية في السودان، وأضاف أن الكتاب يعتبر جديداً وأصيلا ومتفرداً، وخلص للقول بأن الثورة المهدية بجانب أنها ثورة وطنية جهادية هي ثورة بريدية بل إبنة لبريد السودان.

أكدت الدكتورة/ ميمونة على محمد الزيدابي في عرضها بأن هذا الكتاب بمثابة إعادة لتاريخ وحقبة وطنية هامة في تاريخ السودان الحديث والمعاصر، وأنه يوثق جانباً إدارياً قلما ما تناولته الدراسات حول المهدية، وأنه يمثل مرجعاً لفهم عدد من الجوانب لم تجد الاهتمام الكافي في تجربة الدولة المهدية.

في قراءة وعرض الدكتورة/ هنادي السر الحسين مصطفى أشارت لأهمية الكتاب الذى يسلط الضوء على موضوع غير مطروق وفي غاية الأهمية لتلك الفترة لأن البريد لم يكن مجرد وسيلة للتواصل بل كان سبباً قوياً في إرساء دعائم الدولة المهدية لذا يعتبر إسهاما جديداً في تاريخ الاتصالات والتواصل، وتضيف الدكتورة/ تقوى محمد إبراهيم أحمد في قراءتها بأن الكتاب يحتوي على معلومات حول تاريخ السودان ويعزز البحث العلمي في مجال البريد والطوابع البريدية في فترة ما بعد المهدية وكذلك يعزز الوعي الثقافي إذ يعد مفيداً للمهتمين بالتاريخ السوداني.

وفي ختام هذه المقدمة نتقدم بالشكر والتقدير لكل الذين أسهموا بأقلامهم في عرض وقراءة وتحليل هذا الكتاب، مما يتيح فرصة جيدة لتقديم رؤي متنوعة تسهم في الإضافة إلى موضوع الكتاب. ونسأل الله تعالى أن نوفق في الأجزاء التالية في إكمال إعداد وتحرير القراءات للإصدارات الأخرى للمؤرخ السوداني / حاتم الصديق.

عوض شبا

المقاودة – دنقلا العجوز

9يونيو 2025م

تقديم

2

البريد في الدولة المهدية

(1302-1316هـ / 1885-1898م)

عرف السودان البريد ونظمه الحديثة خلال حكم الباشوية والخديوية حيث وجد هذا المرفق المهم والحساس عناية كبيرة من قبل محمد علي باشا وخلفائه الذين تعاقبوا على حكم السودان منذ العام 1821م وحتى تحرير الخرطوم في 26 يناير 1885م، ومن العوامل المهمة التي أسهمت في تطور نظام البريد في السودان اتساع رقعة البلاد في عهد الخديوي إسماعيل والذي يمكن أن نُطلق عليه رائد التحديث في السودان حيث عمل على ربط جميع مناطق السودان في ذلك الوقت بشبكة من البريد والتلغراف الحديث، كما ربط جميع موانئ البحر الأحمر مثل زيلع وبربرة وهرر ومصوع بسواكن التي كانت تمثل مركز وحاضرة تلك الموانئ بالإسكندرية والقاهرة ، وبالنسبة للمناطق الداخلية تم ربط جميع أقاليم السودان المختلفة بشبكة من التلغراف مثل إقليم دارفور وبحر الغزال والاستوائية وشرق السودان بالعاصمة الخرطوم ومنها إلى القاهرة كأطول خطوط تلغراف في القارة في ذلك الوقت. وبالإضافة للتلغراف كان الحاجة كبيرة إلى ربط أجزاء السودان بخدمة البريد والتي لعبت الجمال ، والخيول ، والسفن النهرية والمراكب دوراً مهماً في تفعيلها ونجاحها طوال حكم الباشوية والخدوية في السودان ونتيجة لذلك انتشرت نقاط التلغراف في العديد من المدن

والحواضر مثل حلفا ودنقلا وبربر والخرطوم وكسلا وسواكن والقضارف والأبيض والفاشر و واو وغيرها من المدن الكبيرة في ذلك الوقت، ووجدت خدمة البريد اهتماماً كبيراً من قبل الحكمداريين الذين تعاقبوا على حكم السودان لأنها كانت تمثل لهم أحد الوسائل المهمة والضرورية في نقل أخبار التجارة والتجار والأجانب والمعاملات الحكومية اليومية المختلفة، وقد أسهمت هذه الخدمة في تسهيل وربط أجزاء السودان المختلفة .

بعد تحرير الخرطوم بتاريخ 2 يناير 1885م على يد قوات الإمام المهدي ، اهتمت الدولة المهدية بخدمة البريد وذلك لدوره المهم والفاعل في إدارة الدولة وإيصال المحررات والخطابات للعمالات المختلفة، وما يدل على اهتمام الخليفة عبد الله بأمر البريد بأن خصص كتبة محددين مع كل أمير وأطلق عليه اسم (كتبة السر) وعمل أيضا على اختيار أفضل الرجال الذين يمتازون بالصدق والأمانة وكتم الأسرار في نقل بريد الدولة لأطرافها المختلفة، وكذلك عمل على تخصيص أفضل الهجن والخيول لحاملي البريد وأمر بتقديم التسهيلات اللازمة لهم من قبل أمراء وقادة المهدية في المناطق المختلفة التي يمر عبرها البريد، وأعطاهم أوامر مكتوبة تسهم في تسهل مهمتهم في حالة احتاج الواحد منهم لتقديم خدمة من حاكم المنطقة المحددة أو من عامة الناس.

كلف الخليفة عبد الله أربعة من الكتبة للقيام بتحرير رسائله وخطاباته للعملاء والقادة والأمراء والمشايخ وقد أطلق عليهم اسم (المخصوصين) أي الكُتاب الخاصين بكتابة خطابات الخليفة عبدالله، ولأهمية البريد لدى الخليفة كان يخصص وقتاً محدداً في صباح كل يوم للاطلاع على الرسائل الواردة من العمالات والتي كان يصحبها تقريراً شفهياً من حامل البريد

وهو تقرير مُكمل لما احتوته الرسالة، وقد كان الخليفة يعتمد على التقرير الشفاهي بجانب المكتوب في اتخاذ قراراته وذلك بسبب عدم تمكن الخليفة من زيارة أقاليم الدولة المختلفة. اضافة لكتبة الرسائل عند الخليفة عبد الله كان هناك كتبة محددين للأمير يعقوب (جراب الرأي) الرجل الثاني في الدولة بعد الخليفة ، وأيضاً كان لكل أمير أو عامل عمالة عدد من الكتبة، وأيضا كان لقادة الجيش والرايات المختلفة عدد من الكتبة، وحتى يتم اعتماد الخطابات والرسائل في الدولة المهدية كان لابد من أن تكون مختومة بختم صاحبها حيث إن الختم دليل على صحة ما ورد في الرسالة لذلك ظهرت الأختام في الدولة المهدية حيث كان للإمام المهدي أربع أختام نقش على الأول منها عبارة «لا إله إلا الله محمد رسول الله محمد أحمد المهدي عبد الله 1292هـ» ويعتبر هذا الختم أول أختام الإمام المهدي، وقد كان ختم الخليفة عبد الله بيضاوي الشكل نقش عليه عبارة «حسبنا الله ونعم الوكيل»، وبإلاضافة للمهدي والخليفة عبد الله كان لكل أمير وقائد وعامل في الدولة المهدية ختمه الخاص ولا يسمح له باستبداله أو عمل وأحد آخر في حالة ضياعه إلا بإذن مكتوب من الخليفة عبد الله.

ولكي تستمر الدولة المهدية في انجاز مهامها الكتابية كان الاعتماد في الكتابة على الورق الذي تحصلت عليه المهدية الباشوية والخديوية السابقة في السودان، ولكن على الرغم من الكميات الكبيرة من الورق إلا أن الدولة واجهت مشكلة شُحا واضحا في الورق ولذلك صدرت الأوامر من الخليفة عبد الله والأمير يعقوب لجميع الأمراء والقادة والعمال في العمالات المختلفة تأمرهم بترشيد استخدام الورق وعدم الكتابة على الورق إلا في الأمور المهمة والتي تحتاج لورق.

من خلال تتبع نظام البريد في الدولة المهدية نجد أن هناك مجموعات من الأفراد ينتمون لقبائل محددة قد عملوا في خدمة البريد منهم العبابدة، والجعليين والتعايشة والهدندوة، ولتطوير هذا الجهاز المهم والحساس في الدولة المهدية قدم أمين بيت المال إبراهيم ود عدلان (1302-1307هـ/1885-1889م) مقترحاً مهماً يستهدف تطوير وزيادة فاعلية نظام البريد في الدولة ولكن مقترحه لم يجد القبول من قبل الخليفة عبد الله الذي فضل الاستمرار في النظام التقليدي للبريد.

عموما هناك عدد من المهام التي نجح البريد في إنجازها في الدولة المهدية بصورة عملية منها:

- ربط أقاليم الدولة المختلفة بالعاصمة أم درمان.
- سهل على الخليفة عبد الله الحصول على المعلومة بطرق مختلفة، ومكنه من متابعة الأمراء والقادة والعمال في عمالاتهم.
- زيادة فاعلية النظام الاستخباراتي في الدولة المهدية.

قراءة

1

«ليس في استطاعتنا تغيير حوادث التاريخ!!! ولكننا نملك - كل الحق في- إعادة قراءتها، لا لإعادة إنتاجها، بل لفهم واقعنا واستشراف مستقبلنا»

الحمد لله، الرحمن الرحيم دائم الإحسان، القديم الأول الخالق الباقي بلا تحول. الحمد لله خالق الرياح، رافع السماء بلا عمد مجري الرياح مسخر الطير منزل الماء مجري الأنهار، ممهد الأرض سهلا.

ليس المقصود من دراسة التجارب الإنسانية هو إعادة انتاجها، وكذلك ليس الغرض من اسقاط المفاهيم الحديثة والمعاصرة على حوادث التاريخ اختبارها ومحاكمتها، بل يكون ذلك لغرض النظر اليها برؤى جديدة، فاذا لم نسند ظهرنا على التاريخ ونقف على أرض واقع صلبة تمكننا من استشراف وصناعة مستقبل أفضل من ماضينا وحاضرنا فتكون دراسة التاريخ ضرباً من الترف.

سأحاول جاهداً أن أقدم قراءة لكتاب البريد في المهدية لمؤلفه البروفسور الشاب حاتم الصديق محمد أحمد وذلك بمنج مختلف – الى حد ما – عن الطريقة التي تكتب بها عادة القراءات عن الكتب والدراسات، مستخدماً أسلوب ومنهج أقرب الى ما يعرف (بالتعقيب) في المحاضرات والندوات والمؤتمرات، وذلك من خلال تفصيص الرؤية العامة بصورة تنازلية من الأعم (التاريخ) الى الفكرة الأصغر الخاصة للكتاب (البريد في حقبة المهدية) دون أن أنسى تناول منهج دراسة الكاتب والكتاب.

البعد التاريخي للقصص في القرآن الكريم:

القصص أداة من أدوات الله في توجيه أنبيائه، (**نَحنُ نَقُصُّ عَلَيكَ أَحسَنَ القَصَصِ**) "سورة يوسف: 3»

يُعد البعد التاريخي من أبرز ما يميز القصص القرآني، إذ لا تُروى الأحداث لمجرد التوثيق، بل لتؤدي وظيفة تعليمية وتربوية. ويتجلى هذا البعد بوضوح في قوله تعالى: (**نَحنُ نَقُصُّ عَلَيكَ أَحسَنَ القَصَصِ**) [يوسف:3]، حيث يُستحضر الماضي بوصفه وسيلة لتثبيت فؤاد النبي ﷺ، وبناء الوعي، وتحفيز البصيرة في سياق التحديات الرسالية. فقصة يوسف عليه السلام، مثلًا، ليست مجرد تاريخ، بل نموذج يحوّل الوقائع الزمنية إلى دروس إيمانية وإنسانية، تؤطر للموقف النبوي وتغذيه بالصبر والحكمة. وبهذا تصبح القصة إعادة صياغة للتاريخ في ضوء الهداية، ما يربط بين «ما كان» و«ما يجب أن يُفهم ويُحتذى»، لتتحول القصة إلى أداة وحي تتجاوز الإخبار إلى التكوين التربوي.

للقصص القرآني مكانة محورية في بناء الخطاب الإلهي الموجَّه إلى الأنبياء، إذ لم يكن مجرّد سرد للأحداث الماضية، بل وسيلة ربانية لتحقيق غايات تربوية وتوجيهية عميقة. فالقرآن الكريم يوظّف القصة لتثبيت قلوب الرسل، وإمدادهم بالعبرة، وتزويدهم بالنماذج الإنسانية التي عايشت ظروفًا مشابهة، كما في قوله تعالى: **(وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك)** [هود: 120]. وفي هذا الإطار، يصبح القصص أداة إلهية ذات طابع رسالي، تتجاوز الإخبار عن الماضي إلى تشكيل وعي النبوة، وتوجيه السلوك الرسالي في سياق المواجهة والدعوة والتحدي. من هنا، تسعى هذه الدراسة إلى تحليل وظيفة القصص القرآني في توجيه الأنبياء، من خلال استقراء النصوص ذات

الصلة، واستكشاف الأبعاد النفسية والتربوية والعقدية التي تحققها القصة ضمن البناء الكلي للرسالة النبوية. وتعتمد الدراسة منهجًا تحليليًا يستند إلى قراءة سياقية للنصوص، مع الاستفادة من المناهج المقارنة والتأويلية في فهم الوظائف المتعددة التي اضطلع بها القصص في تأطير التجربة النبوية وتوجيهها.

تساؤل معرفي؟

هل الكتابة في التاريخ تعتبر ضرباً من الترف الفكري! الإجابة المبدئية السريعة والتي تقفز الى الذهن مباشرة تذهب الى القول بأن الكتابة في التاريخ ليست ترفاً، بل هي ضرورة معرفية وثقافية عميقة، كما أنه وفي عصر تقنية المعلومات والذكاء الاصطناعي والمحاكاة العميقة المتسارعة، تزداد أهمية الكتابة التاريخية كأداة لفهم الحاضر وتوجيه المستقبل. فالكتابة التاريخية: وسيلة لحفظ الذاكرة الجماعية، كما أن التاريخ مرآة لفهم الحاضر على اعتبار ليس مجرد سرد للأحداث الماضية، بل هو أداة لفهم جذور المشكلات المعاصرة. ومن خلال دراسة التاريخ، يمكننا التعرف على أسباب النزاعات، تطور المجتمعات، وكيفية تعاملها مع التحديات، مما يساعد في اتخاذ قرارات مستنيرة في الحاضر، وفي ظل التقنيات الرقمية تبرز العديد من التحديات والفرص لدراسة التاريخ حيث أصبحت المعلومات متاحة بسرعة، مما يتيح للباحثين والطلاب الوصول إلى مصادر تاريخية متنوعة. ومع ذلك، تبرز تحديات تتعلق بموثوقية المعلومات وتفسيرها بشكل دقيق. لذلك، تظل الكتابة التاريخية المنهجية ضرورة لضمان دقة الفهم والتحليل.

كما أن الكتابة التاريخية تعتبر أداة نقدية وتطويرية فالكتابة في التاريخ ليست مجرد توثيق، بل هي عملية نقدية تساعد في إعادة تقييم الأحداث

والأفكار. من خلال تحليل الماضي، يمكننا تطوير مفاهيم جديدة، وتصحيح المفاهيم الخاطئة، والمساهمة في تقدم المجتمعات.

التشكيك في دراسة التاريخ في عصر الثورة المعلوماتية الضخمة!

وقد يشكك البعض بشأن تناول التاريخ في عصر الثورة المعلوماتية الضخمة، وقطعاً فإن ذلك القول مردود عليه ومن الممكن محاججته من واقع أن دراسة التاريخ في عصر ثورة المعلومات يعتبر أداة قوية لفهم الماضي وتوجيه المستقبل، ويتضح ذلك من خلال ما توفره المعلومات الهائلة والمنظمة من مكنات لتعزيز التفكير النقدي، والاستفادة من التاريخ الرقمي، والحفاظ على الهوية الثقافية، والتعلم من الأخطاء السابقة، وتنمية مهارات البحث والابتكار، وتمكين الأفراد والمجتمعات من بناء مستقبل أكثر وعيًا واستدامة. كما أنه يوفر معطيات تسند تعزيز التفكير النقدي والتحليلي للأحداث وفهم أسبابها ونتائجها، كم أن ذلك يفتح الباب على مصراعيه للاستفادة من التاريخ (المحفوظ رقمياً) الذي يُتيح للباحثين الوصول إلى مصادر تاريخية رقمية، مثل الوثائق والمخطوطات، وتحليلها باستخدام أدوات الذكاء الاصطناعي مما يُسهّل الوصول إلى المعرفة التاريخية وتعزيز البحث العلمي.

كما انه وفي عصر العولمة، تُساعد دراسة التاريخ على الحفاظ على الهوية الثقافية من خلال تنمية الشعور بالانتماء والهوية، ومن خلال فهم تاريخ الأمم والشعوب، يُمكن تقدير التنوع الثقافي وتعزيز التسامح والتعايش المشترك بما يُساهم في التعرف على تاريخ الحضارات المختلفة في تعزيز الفهم المتبادل والاحترام بين الثقافات، ولعل تحول مقولات صدام الحضارات الى حوار الحضارات هي المثال الجلي لذلك.

وأيضاً فإن دراسة الطلاب للتاريخ يتيح لهم ويعطيهم فرصة التعلم من الأخطاء التي ارتُكبت في الماضي، مما يُساعد في تجنب تكرارها في المستقبل. على سبيل المثال، دراسة الحروب والصراعات تُظهر عواقب القرارات الخاطئة وتُحفّز على اتخاذ قرارات أفضل مبنية على الدروس المستفادة، وتساهم دراسة التاريخ في تنمية مهارات البحث والابتكار لدى الطلاب. من خلال استكشاف المصادر التاريخية وتحليلها، يُمكن للطلاب تطوير مهارات البحث العلمي والابتكار، مما يُؤهّلهم للمساهمة في حل مشكلات العصر الحالي.

هل المنهج التاريخي (وحده) قادر على تقديم نتائج تصلح للتعميم؟ قدمت الكثير من الانتقادات للمنهج التاريخي على اعتبار انه لا يصمد وحيداً لتقديم أطروحات ذات نتائج تصلح للتعميم حيث لا بد من المزج بينه وبين أحد مناهج البحث العلمي المتبعة في الدراسات الاجتماعية او السياسية.

المنهج التاريخي يعد أداة أساسية لفهم الماضي وتحليل الأحداث التي شكلت المجتمعات والتطورات البشرية، لكنه لا يقدم دائمًا نتائج قابلة للتعميم إذا تم الاعتماد عليه بمفرده. ذلك لأن التاريخ في جوهره يتعامل مع توثيق الوقائع التي وقعت في أزمنة وأمكنة معينة، ويعتمد على المصادر المتاحة التي قد تكون محدودة أو متحيزة في بعض الأحيان. هذا يعني أن التحليل التاريخي قد يظل محصورًا في نطاق زمني ومكاني ضيق، ما يجعل من الصعب تعميم النتائج التي تخرج بها دراسات تاريخية على أحداث أو مجتمعات أخرى.

علاوة على ذلك، يُظهر المنهج التاريخي محدوديته في تفسير الأسباب العميقة للأحداث. غالبًا ما يركز المؤرخون على الأحداث الكبرى أو العوامل الظاهرة،

مثل الحروب أو الثورات، دون النظر إلى العوامل الاجتماعية والنفسية التي قد تكون أسهمت في تلك الأحداث. بالإضافة إلى ذلك، قد تكون المصادر التاريخية غير مكتملة أو متأثرة بنظرات وأيديولوجيات معينة، مما يؤدي إلى تقديم تفسير جزئي أو منحاز لبعض الأحداث. على سبيل المثال، قد تكون بعض التفاصيل مغفلة، مثل الظروف المعيشية أو الثقافية التي كانت تؤثر على القرارات السياسية، وهو ما يجعل النتائج التاريخية أحيانًا محدودة في نطاقها.

من هنا تأتي أهمية ربط المنهج التاريخي بمنهجيات أخرى، مثل المنهج الاجتماعي أو النفسي، لتعزيز الفهم وتوسيع نطاق التحليل. فبينما يساعد المنهج التاريخي في توثيق الأحداث، فإن المنهج الاجتماعي يساعد في فهم الدوافع والأسباب العميقة وراء تصرفات الأفراد والجماعات. على سبيل المثال، لا يمكن تفسير الثورة الفرنسية فقط من خلال السرد التاريخي للأحداث، بل يجب أيضًا أخذ العوامل الاجتماعية والاقتصادية التي أدت إلى اندلاعها بعين الاعتبار. كما يمكن الاستفادة من المنهج الفلسفي لفهم القيم والأيديولوجيات التي كانت تحكم تصرفات الأفراد والمجموعات في سياقات معينة، مما يتيح تقديم تحليل أكثر عمقًا وتكاملاً.

إضافة إلى ذلك، يمكن استخدام المنهج المقارن لمقارنة الأحداث التاريخية بين فترات زمنية أو ثقافات مختلفة، مما يوفر رؤية أكثر شمولية حول التشابهات والاختلافات في التعامل مع قضايا معينة. هذا النوع من التحليل يمكن أن يساعد في استخلاص دروس عالمية يمكن تطبيقها في سياقات مختلفة، مما يفتح المجال لتعميم النتائج المستخلصة من دراسة أحداث معينة. وبالتالي، يُصبح من الممكن الاستفادة من دروس الماضي في الحاضر والمستقبل بشكل أوسع وأكثر فاعلية.

في النهاية، المنهج التاريخي هو أداة حيوية لفهم وتفسير الأحداث الماضية، لكنه يحتاج إلى التكامل مع مناهج أخرى لكي يُعطي نتائج قابلة للتعميم على نطاق أوسع. من خلال الربط بين المنهج التاريخي والمناهج الاجتماعية والنفسية والفلسفية، يمكننا الحصول على رؤية شاملة تحيط بجميع الأبعاد المؤثرة في الأحداث التاريخية، مما يتيح استخلاص دروس قابلة للتطبيق في سياقات متعددة.

مصطلح منهج « ما وراء التاريخ»:

يلاحظ أن ابن خلدون قد تغلب على مناهج دراسة التاريخ الجامدة والتي لا يمكن أن تعطينا تعميمات بان ابتدع منهج ذهبت الى تسميته (منهج دراسة باطن التاريخ أو ما وراء التاريخ para history)) معنى عدم الوقوف عند التوثيق والتأريخ للحوادث، بل يجب الولوج إلى أسبابها ومسبباتها وذلك بدراسة كل العوامل المحيطة بها سواء داخلية أو خارجية الداخلية المرتبطة بالدراسة الذاتية للأشخاص الفاعلين وكذلك دراسة الواقع الاجتماعي والاقتصادي والتاريخي .

يمكن اعتبار ما تم مناقشته سابقًا قريبًا من المصطلح الذي استخدمه دائماً «منهج ما وراء التاريخ»، الذي يتجاوز السرد التاريخي التقليدي ويرتكز على دمج المناهج الاجتماعية، النفسية، والفلسفية لفهم الأحداث بشكل أعمق. هذا المنهج لا يقتصر على توثيق الوقائع التاريخية فقط، بل يهدف إلى دراسة العوامل المؤثرة مثل الدوافع النفسية، الظروف الاجتماعية، الأيديولوجيات، والتأثيرات الاقتصادية التي ساهمت في تشكيل هذه الأحداث. من خلال دمج هذه المناهج، يصبح التاريخ أداة لفهم أوسع للسياقات التي شكلت المجتمعات والأفراد، مما يعزز من

قـدرة الباحثـين علـى اسـتخلاص دروس قابلـة للتعميـم وتقـديم رؤيـة شـاملة للواقـع التاريخـي.

ومـن بـاب الفضـول ولترسـيخ هـذا المصطلـح، سـألت الـذكاء الاصطناعـي عـن المصطلـح الـذي ابتدعتـه (رغـم قناعتـي بـأن الـذكاء الاصطناعـي لا يمكنـك الاعتمـاد عليـه والتعامـل معـه بحـذر شـديد في مثـل هـذه الإجابـات الحيـة) فجـاء الـرد كالتالـي : «يمكـن اعتبـار مـا أشـار إليـه الدكتـور محمـد الواثـق في دراسـته عـن الحركـة المهديـة نموذجًـا لمـا يمكـن تسـميته بـ منهـج مـا وراء التاريـخ، وهـو منهـج يتجـاوز السـرد الظاهـري للوقائـع ليبحـث في العوامـل العميقـة التـي تشـكّل الأحـداث، كالدوافـع النفسـية، والتحـولات الاجتماعيـة، والظـروف الدينيـة والسياسـية التـي تتفاعـل داخـل الواقـع التاريخـي. ففـي حالـة الحركـة المهديـة، لا يقتصـر التحليـل علـى تتبـع نشـأة المهـدي وتوسـع حركتـه، بـل يمتـد لفهـم السـياقات الاقتصاديـة والاجتماعيـة التـي هيـأت النـاس لتقبّـل الخطـاب المهـدوي، بمـا في ذلـك شـعورهم بالظلـم، وتدهـور الأوضـاع المعيشـية، والارتبـاط القـوي بالرمـوز الدينيـة في مواجهـة الاسـتعمار.

وسـألته أيضـاً عـن المقاربـة بـين ذلـك المنهـج ومنهـج ابـن خلـدون في المقدمـة فجـاء الـرد كالتالـي: "ومـن هـذا المنظـور، يمكـن أيضًـا اعتبـار منهـج ابـن خلـدون قريبًـا مـن هـذا التوجـه، حيـث لـم يكتـفِ في «مقدمتـه» بتسـجيل الحـوادث، بـل سـعى لتحليـل الأسـباب الخفيـة خلفهـا، مركّـزًا علـى مفاهيـم مثـل العصبيـة، والتحـول مـن البـداوة إلـى الحضـارة، وأثـر الـترف في سـقوط الـدول. وقـد ربـط بـين الديـن والسياسـة، وتحـدث عـن دور الأوضـاع الاجتماعيـة والنفسـية في صعـود الـدول وزوالهـا. ورغـم أن منهجـه لـم يُصَـغْ بمصطلحـات علميـة كمـا هـو الحـال في الدراسـات الحديثـة، إلا أنـه يُعـدّ

نـواة أولـى لفكـرة «مـا وراء التاريـخ»، بوصفـه تفسـيرًا عميقًـا متعـدد الأبعـاد للأحـداث، وليـس مجـرد توثيـق زمنـي لهـا.»

مناهج دراسة تاريخ المهدية في السودان:

تعقيـد حقبـة المهديـة وأهميتهـا المتعـددة الأبعـاد، فـرض أن تكـون مناهـج دراسـتها متنوعـة، فـلا يمكـن الإحاطـة الشـاملة بتجربـة المهديـة إلا مـن خـلال مقاربـة متعـددة المناهـج، تجمـع بـين التحليـل السياسـي والدينـي والاجتماعـي والنقـدي، مـع الانفتـاح علـى المقارنـة التاريخيـة العابـرة للحـدود. ويظـل تاريـخ المهديـة مجـالًا مفتوحًـا للبحـث الأكاديمـي العميـق، خاصـة مـع توفـر أرشـيفات ووثائـق لـم تُسـتثمر بعـد بصـورة كافيـة.

تُمثّـل الدولـة المهديـة (1881–1898م) مرحلـة محوريـة في تاريـخ السـودان، ليـس فقـط مـن حيـث أحداثهـا السياسـية والعسـكرية، وإنمـا كذلـك مـن حيـث تأثيرهـا العميـق علـى البنيـة الاجتماعيـة والدينيـة والثقافيـة في البـلاد. وقـد تعـددت مناهـج دراسـة هـذه الفتـرة نتيجـة لتنـوع زوايـا النظـر إلـى الظاهـرة المهدويـة، مـا بـين مـن يراهـا ثـورة تحـرر وطنـي، ومـن يقرؤهـا في إطارهـا الدينـي أو الاجتماعـي أو كظاهـرة تاريخيـة مركبـة.

ويمكن تقسيم الدراسات التي تناولت المهدية من خلال منهجها كالتالي:

أولاً: المنهج التاريخي التحليلي

يُعـد المنهـج التاريخـي التحليلـي مـن أكثـر المناهـج اسـتخدامًا في دراسـة تاريـخ المهديـة، إذ يعتمـد علـى تتبـع تطـور الأحـداث وربطهـا بسـياقاتها المحليـة والإقليميـة. وقـد اسـتخدمه المؤرخـون لتفسـير نشـأة الدعـوة المهديـة، وتوسـعها، ثـم صعـود الدولـة وسـقوطها في معركـة كـرري عـام 1898. يسـمح هـذا المنهـج

بفهم التفاعل بين مختلف القوى: الاستعمار التركي–المصري، القبائل السودانية، والحركة الدينية بقيادة الإمام محمد أحمد المهدي.

ثانيًا: المنهج النقدي:

نظرًا لتعدد وتضارب المصادر حول المهدية، يبرز المنهج النقدي كأداة ضرورية لتمييز الحقيقة من الرواية المتحيزة أو الدعائية، خصوصًا في كتابات الإداريين البريطانيين والمصريين. وقد أسهم هذا المنهج في إعادة قراءة الروايات الرسمية التي صورت المهدية باعتبارها حركة فوضوية، بينما تُظهرها دراسات أخرى كحركة تحرر شعبية ذات أهداف دينية واجتماعية.

ثالثًا: المنهج الاجتماعي:

يعالج هذا المنهج التحولات العميقة التي أحدثتها المهدية في البنية القبلية والاجتماعية السودانية، لا سيما من حيث مركزية السلطة الدينية وتوحيد القبائل تحت راية واحدة. ويُظهر كيف ساهمت المهدية في تراجع الولاءات القبلية التقليدية لصالح الولاء الديني والسياسي للدعوة.

رابعًا: المنهج الديني والفكري

نظرت دراسات كثيرة إلى المهدية بوصفها حركة دينية إصلاحية، نشأت في إطار تصوفي، لكنها تحولت إلى حركة جماهيرية ذات أبعاد سياسية. ويقوم هذا المنهج على تحليل الخطاب الديني للإمام المهدي، وتأويلاته لمفهوم «المهدي المنتظر»، وتفاعله مع التيارات الصوفية، وموقفه من العلماء والفقهاء التقليديين.

خامسًا: المنهج السياسي:

يُعنى هذا المنهج بدراسة الدولة المهدية كمؤسسة سياسية، ذات هياكل تنظيمية واضحة تشمل الإدارة، القضاء، الجيش، والمالية. ويبحث في سياسات الدولة تجاه السكان المحليين، وكذلك في علاقاتها الإقليمية والدولية، مثل موقفها من الدولة العثمانية، ومراسلاتها مع القوى الأوروبية.

سادسًا: المنهج المقارن:

يعمد هذا المنهج إلى مقارنة المهدية بحركات مشابهة في العالم الإسلامي، مثل الثورات الدينية أو حركات التحرر من الاستعمار. ويفتح الباب لفهم أوسع للظاهرة من منظور عالمي، حيث تُدرَس المهدية ضمن إطار «الثورات الإسلامية» في القرن التاسع عشر.

منهج البروفيسور حاتم الصديق) الموضوعاتي) في تناول المهدية، ومن خلال المناهج التي تم استعراضها سابقًا يمكن النظر الى وتحليل منهج البروفيسور حاتم الصديق محمد أحمد في دراسة تاريخ المهدية، فلا نجد صعوبة القول بتميزه في التناول الموضوعاتي للمهدية باتباع المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، مع تداخل غير مخل مع المنهج السياسي والاجتماعي.

وبالنظر الى العناوين التي تناولها البروفيسور حاتم الصديق نلحظ تلك الموضوعات بوضوح:

1. دور الأمير يعقوب في المهدية (1298-1316هـ/ 1881-1898م)
2. الجيش في المهدية (1298-1316هـ/ 1881-1898م)

3. البريد في الدولة المهدية (1302-1316هـ/ 1885-1898م) (موضوع هذه القراءة)

4. أضواء على العمل الأمني والاستخباراتي في المهدية بالسودان (صدر بعد كتاب البريد)

5. قبيلة البطاحين والمهدية في السودان (1302-1316هـ/ 1885-1898م)

6. حياة النور بك محمد عنقرة بقلمه 1924م

7. النظم الحضارية في الدولة المهدية (1302-1316هـ/ 1885-1898م)

تحليل الدراسات من خلال منهج البروفيسور حاتم الصديق:

المنهج التاريخي الوصفي التحليلي:

يُعد هذا المنهج هو الأساس في أعمال البروفيسور حاتم الصديق، حيث يعتمد على دراسة الوثائق والمصادر الأصلية لتقديم وصف دقيق للأحداث والظواهر، ثم تحليلها لفهم أسبابها ونتائجها. على سبيل المثال، في دراسته حول "العلاج والتداوي في الدولة المهدية"، استخدم المنهج التاريخي الوصفي التحليلي لدراسة كيفية تنظيم الدولة للخدمات الصحية، مثل وجود صيدلية تتبع لإدارة بيت المال، وكيفية وصول المرضى إلى أم درمان للعلاج، مع تحليل الأبعاد الاجتماعية والإدارية لهذه الخدمات.

المنهج السياسي:

يتناول البروفيسور حاتم الصديق الدولة المهدية ككيان سياسي، حيث يدرس تنظيماتها العسكرية والإدارية. في كتابه "الجيش في الدولة المهدية 1881-1899م"، حلل تنظيم الجيش المهدوي، تمويله، تسليحه، وعلاقته

بالسلطة السياسية، مما يبرز كيفية استخدام القوة العسكرية كأداة للحكم والسيطرة.

المنهج الاجتماعي:

يهتم البروفيسور حاتم الصديق بدراسة تأثير الدولة المهدية على المجتمع السوداني، خاصة من خلال مؤسساتها مثل التعليم والصحة. في دراسته حول العلاج والتداوي، أشار إلى كيفية تأثير توفر الخدمات الصحية في أم درمان على المجتمع، وكيفية تنظيم الدولة لهذه الخدمات لتلبية احتياجات المواطنين.

المنهج النقدي:

رغم أن البروفيسور حاتم الصديق لا يتبنى منهجًا نقديًا بالمعنى التقليدي، إلا أن تحليله للمؤسسات المهدية يكشف عن بعض التحديات والقصور في التنظيم والإدارة. على سبيل المثال، في دراسته حول العلاج والتداوي، أشار إلى أن الوصول إلى الخدمات الصحية كان يتطلب موافقة من السلطات، مما قد يشير إلى بعض القيود في النظام الصحي المهدوي.

المنهج المقارن:

لا يتبنى البروفيسور حاتم الصديق منهجًا مقارنًا بشكل مباشر في أعماله، لكنه من خلال دراسته للمؤسسات المهدية، يمكن استنتاج بعض أوجه الشبه والاختلاف مع دول أخرى في نفس الفترة. على سبيل المثال، في دراسته للجيش المهدوي، يمكن مقارنة تنظيمه مع الجيوش في الدول المعاصرة الأخرى، مما يوفر فهمًا أعمق للتنظيم العسكري في تلك الحقبة.

إجمالاً يمكن القول منهج البروفيسور حاتم الصديق يتميز بالتركيز على الجوانب المؤسسية والتنظيمية للدولة المهدية، مما يوفر فهمًا عميقًا لكيفية إدارة الدولة لمؤسساتها المختلفة. من خلال استخدامه للمنهج التاريخي الوصفي التحليلي، يقدم تحليلًا دقيقًا للأحداث والظواهر، مما يساهم في إثراء الدراسات حول تاريخ المهدية.

البريد، مقاربة « تناقص الدور والأهمية وتطور المقاصد والأدوات»:

البريد أكثر من مجرد وسيلة لنقل الرسائل؛ فقد شكّل عنصرًا حيويًا في الحياة الاجتماعية، الاقتصادية والسياسية، وساهم في تعزيز الروابط بين الأفراد والمجتمعات، وفتح آفاقًا جديدة للتواصل والتفاعل. وبالتالي يحقق كل مفاهيم وغايات وأدوار التواصل ولكن بأدوات متطورة وجديدة.

قبل انتشار وسائل الاتصال الحديثة، كان البريد الوسيلة الأساسية للتواصل بين الأفراد لتعزيز الروابط الاجتماعية والعائلية، خاصةً في المجتمعات النائية، للبريد دور في الحياة الاقتصادية وأداة حيوية في التجارة، حيث كان يُستخدم لتبادل المعلومات التجارية، طلبات الشراء، والعقود. وللبريد تأثير على الثقافة والتعليم حيث ساهم البريد في نشر المعرفة والثقافة، حيث كان يُستخدم لتبادل الكتب، المجلات، والرسائل التعليمية. في بعض المناطق، كانت المجلات تُرسل عبر البريد، مما سمح للأطفال والطلاب بالاطلاع على محتوياتها والتفاعل معها. كذلك كان للبريد دور هام وحيوي في التقدم والتطور حيث أدى الاهتمام بالبريد إلى تطوير بنية تحتية متقدمة، مثل بناء مكاتب البريد، إنشاء خطوط نقل خاصة، وتدريب موظفين متخصصين. كان البريد ـــ في بعض الأحيان ـــ يُستخدم كأداة للسلطة والسيطرة، حيث كانت الحكومات تراقب الرسائل

وتتحكم في تدفق المعلومات. لذلك تظل صامدة المقولة التي تذهب الى أنه: رغم تطور وسائل الاتصال الحديثة، يظل للبريد التقليدي مكانة خاصة في تاريخ التواصل البشري.

البريد في فترة موضوع الكتاب:

المتفق عليه البريد في السودان شهد خلال القرن التاسع عشر تطورًا ملحوظًا، حيث بدأ كأداة للتواصل والإدارة في العهد التركي، ثم تأثر بظروف فترة المهدية، ليعود مع الاحتلال البريطاني المصري، مما جعله عنصرًا أساسيًا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

البداية في العهد التركي (1858–188):

افتُتح أول مكتب بريد في السودان عام 1858 في مدينة سواكن، تلاه افتتاح مكاتب في وادي حلفا عام 1867، ثم في دنقلا وبربر والخرطوم عام 1873، وفي سنار وكركوج وفازوغلي والقضارف والأبيض والفاشر وفشودة عام 1877، خلال هذه الفترة، كانت الطوابع البريدية المصرية تُستخدم، نظرًا لقلة حجم البريد. بين مارس ويوليو 1885، استُخدمت طوابع بريدية بريطانية من فئة 2.5 و5 بنسات في سواكن، كما استُخدمت الطوابع الهندية في نفس المنطقة.

تأثير الثورة المهدية (1881–1885):

أدت الثورة المهدية إلى إغلاق جميع مكاتب البريد بحلول عام 1884، مما ترك البلاد بدون خدمة بريدية حتى عام 1896. خلال هذه الفترة، توقفت جميع خدمات البريد والتلغراف، وتوقفت حركة البريد تمامًا.

عودة البريد مع الاحتلال البريطاني المصري (1896–1956):

بدأت الحملة البريطانية في مارس 1896، وأُعيدت الخدمة البريدية للقوات، ولكن دون استخدام طوابع بريدية محلية. في 1 مارس 1897، تم إصدار أول طوابع بريدية سودانية، وهي طوابع مصرية مطبوعة عليها كلمة «السودان» باللغتين العربية والفرنسية. في 1 مارس 1898، تم إصدار طوابع «الجمل» أو «ساعي البريد الصحراوي»، التي طبعها توماس دي لا رو وشركاه، والتي استُخدمت حتى عام 1948.

خلال هذه الفترة، كانت الجمال والخيول والسفن النهرية والمراكب تُستخدم في نقل البريد بين المدن السودانية المختلفة. تم ربط جميع أقاليم السودان بشبكة من التلغراف، مثل إقليم دارفور وبحر الغزال والاستوائية وشرق السودان، بالعاصمة الخرطوم، ومنها إلى القاهرة، مما ساهم في تسهيل وربط أجزاء السودان المختلفة.

دور البريد في الحياة الاجتماعية والاقتصادية:

لعب البريد دورًا كبيرًا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، حيث ساهم في تبادل الرسائل والخطابات والطرود والمطبوعات والبرقيات والحوالات، مما ساعد في تطوير وتغيير أنماط الحياة. كما أسهم في تسهيل وربط أجزاء السودان المختلفة، مما جعل البريد أحد أوائل مرافق الخدمة المدنية في البلاد.

تطور البريد بعد الاستقلال (1956 وما بعده):

بعد استقلال السودان في عام 1956، استمر البريد في لعب دور مهم في ربط أجزاء البلاد المختلفة. تم تأسيس مصلحة البريد والبرق في عام 1919، وأُصدر

أول قانون ينظم خدمات البريد والبرق في السودان في عام 1910. استمر البريد في التطور، حيث تم إصدار طوابع بريدية جديدة تعكس الهوية الوطنية والتاريخ الثقافي للبلاد.

في القرن التاسع عشر، لعب التجار السودانيون دورًا محوريًا في نقل البريد، خاصة في المناطق التي لم تكن تخدمها الشبكات البريدية الرسمية. نظرًا لعدم توفر وسائل نقل حديثة، اعتمد التجار على القوافل التي كانت تسلك طرقًا تجارية معروفة، مثل طريق سواكن–بربر، لنقل الرسائل والطرود بين المدن والمناطق النائية

كانت هذه القوافل تتكون من الجمال والخيول، وتُستخدم لنقل البريد والتجارة معًا، مما يعكس التكامل بين النشاطين. على سبيل المثال، كانت القوافل تسلك طريق «درب الأربعين» الذي يربط بين سواكن وبربر، مرورًا بمناطق مثل الأبيض والفاشر، حيث كانت تُنقل الرسائل التجارية والإدارية جنبًا إلى جنب مع البضائع. هذه الطرق كانت تُستخدم أيضًا في تجارة الترانزيت مع داخل البلاد، مما يعزز من دور التجار في تسهيل التواصل ونقل المعلومات عبر مسافات طويلة.

علاوة على ذلك، كان التجار السودانيون في الخرطوم يتمتعون بسمعة طيبة لنشاطهم وأمانتهم، وكانوا ينتقلون من مكان لآخر، مما يسهم في نقل الرسائل والطرود بين مختلف المناطق. كانوا يشكلون جزءًا أساسيًا من شبكة التواصل غير الرسمية التي مكّنت من تدفق المعلومات بين الأفراد والمجتمعات المختلفة.

بالتالي، يمكن القول إن التجار السودانيين في القرن التاسع عشر كانوا بمثابة «سعاة بريد غير رسميين»، حيث جمعوا بين التجارة ونقل المعلومات، مما ساهم في ربط أجزاء السودان المختلفة وتعزيز التواصل بين المجتمعات.

الكتاب: البريد في الدولة المهدية:

النتيجة الأولية أن كتاب «البريد في الدولة المهدية»، يعد مرجعًا مهمًا لفهم دور نظام البريد في تنظيم الدولة المهدية (1885–1898م) وكيف كان نظام البريد أداة حيوية في تنظيم وإدارة الدولة المهدية، من خلال توفير وسيلة فعالة للتواصل بين مختلف الأقاليم والمركز، مما ساعد في تعزيز استقرار الدولة وتطوير مؤسساتها.

حيث قدم الكاتب للموضوع بالتطرق للخلفية التاريخية للبريد قبل قيام الدولة المهدية حيث بيَّن أن نظام البريد في السودان قد شهد تطورًا ملحوظًا خلال فترة حكم الباشوية والخديوية، من خلال ربط مختلف مناطق السودان بشبكة من التلغراف والبريد، مما ساعد في تسهيل التواصل بين المناطق المختلفة. بعد تحرير الخرطوم في 1885م، وأكد على أن الدولة المهدية أولت اهتماماً خاصًا بتطوير نظام البريد كأداة أساسية في إدارة الدولة.

القراءة عامة:

يبرز الكاتب أن الخليفة عبد الله التعايشي، قد أولى اهتمامًا كبيرًا بالبريد، حيث خصص «كتبة السر» مع كل أمير، وهم كُتاب موثوقون يتسمون بالأمانة والقدرة على كتمان الأسرار، لنقل رسائل الدولة إلى مختلف الأقاليم. كما تم تخصيص أفضل الهجن والخيول لحاملي البريد، وتقديم تسهيلات لهم من قبل الحكام المحليين.

كان الخليفة عبد الله يخصص وقتًا يوميًا للاطلاع على الرسائل الواردة من الأقاليم، وكان يصاحب الرسائل تقرير شفهي من حامل البريد، مما ساعده في اتخاذ قراراته بناءً على معلومات محدثة. كما كانت الرسائل

تعتمد على الأختام كدليل على صحتها، حيث كان لكل أمير أو قائد في الدولة المهدية ختمه الخاص.

رغم الاهتمام الكبير بالبريد، واجهت الدولة المهدية تحديات تتعلق بنقص الورق، مما دفع الخليفة عبد الله إلى إصدار أوامر بترشيد استخدام الورق، وعدم الكتابة عليه إلا في الأمور المهمة. كما تم تطوير نظام البريد التقليدي ليشمل استخدام الجمال والخيول والسفن النهرية والمراكب، مما ساعد في تفعيل البريد في مختلف أنحاء الدولة

ساهم نظام البريد في الدولة المهدية في ربط الأقاليم المختلفة بالعاصمة أم درمان، مما سهل على الخليفة عبد الله متابعة شؤون الدولة واتخاذ القرارات المناسبة. كما ساعد في تعزيز النظام الاستخباراتي، من خلال جمع المعلومات من مختلف المناطق، مما كان له دور كبير في استقرار الدولة.

يُسلط الكتاب الضوء على دور التجار في نظام البريد خلال فترة الدولة المهدية (1885–1898م) الذين دوراً جوهرياً في تفعيل شبكة البريد، حيث ساهموا في نقل الرسائل والسلع بين الأقاليم المختلفة، مما ساعد في ربط العاصمة أم درمان ببقية المناطق.

التجار، خاصة من قبائل العبابدة والجعليين والتعايشة، كانوا يشكلون العمود الفقري لحركة البريد. كانوا يشاركون في نقل الرسائل والسلع عبر طرق التجارة التقليدية، مما يسهم في تفعيل شبكة البريد في الدولة المهدية. بالإضافة إلى ذلك، كان الخليفة عبد الله التعايشي يولي اهتمامًا خاصًا بالتجار، حيث كان يخصص لهم تسهيلات لتسهيل حركة التجارة والبريد.

وقد أشار الكاتب الى التحديات الاقتصادية للتجار، فعلى الرغم من دورهم الحيوي، إلا أنهم واجهوا تحديات اقتصادية كبيرة. كانت الدولة تفرض ضرائب متعددة على التجارة، مما يزيد من تكاليفهم. كما كان عليهم دفع إتاوات ورشاوى لرؤساء المحطات الحكومية، مما يؤثر على أرباحهم. بالإضافة إلى ذلك، كانت الدولة تسيطر على بعض جوانب التجارة، مما يقلل من حرية التجار في السوق.

أدوات صناعة البريد (تناول ذكي):

من خلال استعراض الكتاب يلاحظ بجلاء أن البروفيسور حاتم الصديق قد تناول بذكاء أدوات وعناصر صناعة البريد الأمر الذي اعانه ومكنه من تقديم دراسة عميقة سلطت الضوء على كيفية تنظيم وتطوير نظام البريد في السودان خلال فترة الدولة المهدية (1885–1898م).

تحليل الأدوات والعناصر البريدية في الكتاب:

في كتابه، استعرض حاتم الصديق تطور نظام البريد في السودان، موضحًا كيف انتقل من نظام تقليدي إلى نظام أكثر تنظيمًا خلال فترة الدولة المهدية، حيث تناول الكتاب دور «كتبة السر» الذين كانوا يُعينون من قبل الخليفة عبد اللّٰه التعايشي، موضحًا كيف كانوا مسؤولين عن نقل الرسائل الرسمية بين أقاليم الدولة المختلفة. وأشار إلى أهمية الأختام كدليل على صحة الرسائل، حيث كان لكل أمير أو قائد في الدولة المهدية ختمه الخاص. أشار إلى استخدام الجمال والخيول والمراكب النهرية كوسائل لنقل الرسائل والسلع بين الأقاليم المختلفة، مما يعكس فهمًا عميقًا لاحتياجات التواصل في تلك الفترة.

أولاً : البريد الرسمي كتبة السر:

تم التركيز بشكل أساسي على النظام البريدي الرسمي الذي أنشأته الدولة المهدية بعد تحرير الخرطوم في عام 1885م. هذا النظام كان يُدار بواسطة «كتبة السر» الذين تم تعيينهم من قبل الخليفة عبد الله التعايشي، وكانوا مسؤولين عن نقل الرسائل الرسمية بين أقاليم الدولة المختلفة. كما كان لكل أمير أو قائد في الدولة المهدية ختمه الخاص، ولا يُسمح له باستبداله أو عمل واحدٍ آخر في حالة ضياعه إلا بإذن مكتوب من الخليفة عبد الله.

ثانياً: ندرة ورق الطباعة:

تم تناول مسألة ندرة الورق وكيفية تعامل الدولة المهدية معها، حيث تمت الإشارة إلى أن الدولة ورثت كميات كبيرة من الورق من العهدين الباشوي والخديوي، إلا أن هذه الكميات كانت محدودة وسريعة النفاد بسبب الاستخدام اليومي. نتيجة لذلك، أصدر الخليفة عبد الله التعايشي والأمير يعقوب تعليمات صارمة لجميع الأمراء والقادة بترشيد استخدام الورق، والاكتفاء بالكتابة على الورق في الأمور الضرورية فقط. وتُظهر هذه الإجراءات حرص الدولة المهدية على المحافظة على الموارد المتاحة، خاصة في ظل الحصار المفروض عليها من قبل بريطانيا، مما جعل الحصول على الورق أمراً صعباً. كما يعكس ذلك التنظيم الإداري والوعي بأهمية الموارد في إدارة شؤون الدولة

ثالثاً: مطبعة الحجر

يمكن القول إن الكتاب تناول دور «مطبعة الحجر» كعنصر أساسي في صناعة البريد خلال فترة الدولة المهدية وكيف كانت المطبعة أداة حيوية في تنظيم وتوثيق الرسائل الرسمية، مما يعكس فهمًا عميقًا لدورها في

التواصل الإداري والثقافي. ويُظهر كيف كانت هذه الأداة الطباعية عنصرًا محوريًا في صناعة البريد خلال فترة الدولة المهدية. لم تقتصر وظيفتها على الطباعة فحسب، بل كانت جزءًا من استراتيجية أوسع لتعزيز التواصل الإداري والدعوي، مما يُبرز فهمًا عميقًا لدورها في تلك الفترة.

وبين الكتاب كيف أن مطبعة الحجر تحولت من أداة استعمارية إلى أداة ثورية ، بعد أن أوضح أن مطبعة الحجر قد أُدخلت إلى السودان في عهد الحكم التركي (1821–1885)، حيث كانت تُستخدم لطباعة الوثائق الرسمية والمالية ، وبعد تحرير الخرطوم في 1885، استولت الدولة المهدية على المطبعة وأعادت توظيفها في خدمة أهدافها السياسية والدعوية ،ثم تم نقلها إلى أم درمان، حيث أُلحقت ببيت المال المركزي وضُمّنت ضمن وحدات الترسانة الحربية تحت إشراف الخليفة عبد الله التعايشي، تم تعيين الأمير مختار بادي أمينًا للمطبعة، واستُعين بعدد من الخبراء في مجال الطباعة لضمان استمرارية عملها.

وقد تناول الكاتب دور المطبعة في صناعة البريد ، حيث أصبحت مطبعة الحجر مركزًا لإنتاج الوثائق الرسمية، بما في ذلك: الخطابات الرسمية: مثل رسائل الدعوة التي أرسلها الإمام المهدي إلى أقاليم السودان المختلفة، وكذلك رسائل الخليفة عبد الله إلى ملكة بريطانيا ووالي مصر والسلطان العثماني، والمنشورات الدينية والفكرية: مثل «راتب المهدي» والكتب التي تُعزز من الفكر المهدوي ، والوثائق الإدارية: مثل السندات المالية والدفاتر الحكومية.(SSLH Online)

هذا الاستخدام الواسع للمطبعة يُظهر كيف كانت جزءًا لا يتجزأ من نظام البريد، حيث كانت تُنتج الوثائق التي تُنقل عبر شبكة البريد الرسمية.

رابعاً: الخيول كوسيلة لنقل البريد

يُظهر الباحث حاتم الصديق كيف كانت الخيول جزءًا أساسيًا من أدوات صناعة البريد في السودان خلال فترة الدولة المهدية (1885–1898م)، وبعد تحرير الخرطوم في 1885م، أولت الدولة المهدية اهتمامًا خاصًا بتطوير نظام البريد كأداة أساسية في إدارة الدولة. وقد أشار حاتم الصديق إلى أن الخليفة عبد الله التعايشي خصص أفضل الهجن والخيول لحاملي البريد، وقدم لهم التسهيلات اللازمة من قبل أمراء وقادة المهدية في المناطق المختلفة التي يمر عبرها البريد كانت الخيول تُستخدم لنقل الرسائل الرسمية بين أقاليم الدولة المختلفة، مما ساعد في ربط العاصمة أم درمان ببقية المناطق. كما كانت تُستخدم في نقل الوثائق الرسمية، مثل خطابات الخليفة عبد الله إلى مختلف الأقاليم، مما يُبرز دور الخيول في تسهيل التواصل الإداري.

من خلال تناول حاتم الصديق لدور الخيول في نظام البريد، يُظهر كيف كانت هذه الوسيلة الحيوية جزءًا لا يتجزأ من أدوات صناعة البريد في الدولة المهدية. لقد قدم دراسة تسلط الضوء على أهمية الخيول كوسيلة فعّالة لنقل الرسائل والوثائق الرسمية، مما يعكس فهمًا عميقًا لدورها في تلك الفترة.

خامساً: الجمال: وسيلة النقل الأساسية للبريد

في الدولة المهدية (1885–1898م)، لعبت الجمال دورًا محوريًا في نظام البريد، حيث كانت الوسيلة الرئيسية لنقل الرسائل والمعلومات بين الأقاليم المختلفة. ومثلت الجمال عنصرًا أساسيًا في نظام البريد في

الدولة المهدية، حيث ساهمت في تسهيل التواصل بين الأقاليم المختلفة وتعزيز فعالية الإدارة والاستخبارات، وبعد تحرير الخرطوم في 26 يناير 1885م، اهتمت الدولة المهدية بتطوير نظام البريد، وخصص الخليفة عبد الله التعايشي أفضل الجمال والخيول لحاملي البريد. كما أُعطيت أوامر مكتوبة لتسهيل مهمتهم في المناطق المختلفة. وكان لكل أمير أو قائد في الدولة المهدية ختمه الخاص، مما يضمن مصداقية الرسائل المنقولة عبر الجمال.

وبين الكتاب كيف أن الجمال لعبت دوراً في ربط الأقاليم حيث ساهمت الجمال في ربط الأقاليم المختلفة بالعاصمة أم درمان، مما سهل على الخليفة عبد الله الحصول على المعلومات ومتابعة الأمراء والقادة. كما ساعدت في زيادة فاعلية النظام الاستخباراتي في الدولة المهدية.

البريد كأداة استخباراتية في الدولة المهدية:

من المواضيع الهامة التي تطرق لها الكتاب هو استخدام البريد كأداة استخباراتية في الدولة المهدية حيث بين أنه وفي إطار سعي الدولة المهدية (1885–1898م) لتأسيس نظام إداري مركزي، كان البريد يُعتبر أكثر من مجرد وسيلة لنقل الرسائل؛ فقد أُستخدم كأداة استراتيجية في جمع المعلومات الاستخباراتية ومراقبة الأقاليم.

ويُظهر استخدام الدولة المهدية للبريد كأداة استخباراتية كيف كانت المؤسسات الحكومية تُوظف الوسائل المتاحة لمراقبة الأوضاع وتعزيز فعالية النظام الإداري. كان البريد، بجانب كونه وسيلة للتواصل، يُعتبر أداة حيوية في جمع المعلومات الاستخباراتية ومتابعة الأحداث في الأقاليم المختلفة:

أولاً: تكليف «كتبة السر» بمهام استخباراتية

أولى الخليفة عبد الله التعايشي اهتمامًا خاصًا بالبريد، حيث خصص «كتبة السر» لكل أمير أو قائد. كان هؤلاء الكُتّاب يُعتبرون موثوقين ومؤتمنين، وكانوا يتلقون أوامر مكتوبة تُسهم في تسهيل مهمتهم في حالة احتياجهم لتقديم خدمة من حاكم المنطقة المحددة أو من عامة الناس. كما كان الخليفة يُخصص وقتًا محددًا يوميًا للاطلاع على الرسائل الواردة من الأقاليم، مصحوبة بتقارير شفهية من حاملي البريد، مما يُظهر أهمية البريد في جمع المعلومات الاستخباراتية. (sslh.online)

ثانياً: استخدام البريد في مراقبة الأقاليم

كان الخليفة يعتمد على الرسائل والتقارير الشفهية لمتابعة أوضاع الأقاليم المختلفة، خاصةً تلك التي كانت بعيدة عن العاصمة أم درمان. هذا يُظهر كيف كان البريد يُستخدم كوسيلة لمراقبة الأوضاع السياسية والاجتماعية في مختلف المناطق، مما يُعزز من فعالية النظام الاستخباراتي للدولة المهدية.

ثالثاً: الأختام كأداة للتحقق والمصداقية:

كان لكل أمير أو قائد في الدولة المهدية ختمه الخاص، ولا يُسمح له باستبداله أو عمل واحدٍ آخر في حالة ضياعه إلا بإذن مكتوب من الخليفة عبد الله. تُعتبر هذه الأختام وسيلة للتحقق من مصداقية الرسائل وضمان عدم التلاعب بها، مما يُضيف بُعدًا أمنيًا في استخدام البريد كأداة استخباراتية

مواضيع مرتبطة بالبريد تحتاج الى إضافتها في الطبعة الثانية:

أولاً : البريد المضاد قنوات بديلة للمراسلة:

بينما لم تُوثق المصادر بشكل مفصل وجود نظام بريد مضاد منظم، إلا أن السياق التاريخي يشير إلى أن الأطراف المعارضة استخدمت وسائل غير رسمية وبديلة لنقل الرسائل والمعلومات. هذا يُبرز تعددية وسائل الاتصال في تلك الفترة، ويُظهر كيف كانت القوى المختلفة تتكيف مع الظروف المحدودة للتواصل. ففي مقابل البريد الرسمي الذي أنشأته الدولة المهدية، تذكر بعض المصادر أنه كان هناك نوع من «البريد المضاد» أو المراسلات المعارضة، خاصة من قبل القوى الاستعمارية البريطانية والمجتمعات المحلية غير الموالية للحكم المهدوي.

وخلال فترة الدولة المهدية (1885–1898م)، كانت وسائل الاتصال الرسمية محدودة، مما دفع الأطراف المعارضة إلى استخدام قنوات بديلة لنقل الرسائل والمعلومات. على سبيل المثال، استخدم البريطانيون عملاء محليين، تجار، أو مسافرين عبر الحدود لنقل الرسائل والوثائق. كما استخدموا وسائل غير رسمية مثل الحمام الزاجل والرسل الشفويين لنقل المعلومات بين الخرطوم والقاهرة.

البريد عبر الجمال: وسيلة مزدوجة الاستخدام كانت الجمال تُستخدم كوسيلة رئيسية لنقل البريد الرسمي في الدولة المهدية. ومع ذلك، نظرًا لانتشار استخدام الجمال في المناطق الحدودية، كان من الممكن أن تُستخدم أيضًا لنقل رسائل غير رسمية أو معارضة، خاصة في المناطق التي كانت تحت سيطرة القبائل غير الموالية.

ثانياً: البريد الخاص (رسائل خاصة عبر وسائط غير رسمية):

بينما لا توجد معلومات مفصلة حول استخدام وسائل غير رسمية لنقل الرسائل الخاصة في الدولة المهدية، إلا أن السياق التاريخي يشير إلى احتمال استخدام مثل هذه الوسائل. لذلك، قد تكون الرسائل الخاصة قد نُقلت عبر قنوات غير رسمية، مما يعكس مرونة وتكيف النظام البريدي في تلك الفترة. إلا أن الكاتب قد أشار الى أن هناك أدلة على أن الدولة المهدية استخدمت وسائل غير رسمية لنقل الرسائل الخاصة، خاصة في ظل القيود المفروضة على استخدام الورق والموارد المحدودة. ومع ذلك، لم يتطرق الكتاب بشكل مفصل إلى موضوع «البريد الخاص»، أي المراسلات الشخصية أو التجارية التي قد تكون تمت خارج الإطار الرسمي. من الممكن أن يكون هذا النوع من المراسلات قد تم عبر قنوات غير رسمية، مثل التجار أو الأفراد الذين كانوا يتنقلون بين الأقاليم. لكن، نظرًا لعدم وجود توثيق رسمي لهذا النوع من البريد في المصادر المتاحة، فإن التفاصيل حوله تظل غير واضحة. فمن من الممكن أن تكون الرسائل الخاصة قد نُقلت عبر قنوات غير رسمية، مثل التجار أو الأفراد الذين كانوا يتنقلون بين الأقاليم. هذه الوسائل كانت توفر درجة من السرية والخصوصية التي قد تكون مفقودة في النظام البريدي الرسمي.

د. محمد الواثق عبد الحميد الجريفاوي

5يونيو 2025م

قراءة

2

بعد زهاء قرن وثلث على سقوط الدولة المهدية في السودان (1885/1898م) بأتراحها وأفراحها، يبدو أن تلك الحقبة الهامة في تاريخ السودان الحديث والمعاصر قد عادت للواجهة عبر هذا الإصدار الذي بين أيدينا والذي حمل عنوان (البريد في الدولة المهدية بالسودان) لمؤلفه الأكاديمي المتميز، والباحث النهم البروفيسور حاتم الصديق محمد أحمد، وهو كتاب فريد في بابه، جاذب في تقسيماته، ثري بمعارفه، جاذب بمقارباته واستنباطاته وملاحقه، لاسيما وهو الدراسة الحضارية الشاملة الوحيدة كما أشار مؤلفه الذي يتفرد بتناولات مفصلة عن البريد في عهد الدولة المهدية، ولأن الشيء بالشيء يذكر، كنت قد قرأت ذات يوم في الإندبندنت العربية مقالاً طريفاً تحدث ناسجه، أن البريد في أذهان السودانيين ارتبط بالحنين إلى الماضي لدرجة أن آداباً وفنوناً تشكلت جراء هذه العلاقة الوطيدة بين السودانيين والبريد، هذا البريد الذي بدأ في السودان بمسمى التلغراف الحربي (1858م)، وشكلت الدولة المهدية حلقة من حلقات تلك الصلة الوطيدة المذكورة آنفاً، وجاء هذا الكتاب ليحلق بالقارئ في فضاءات تلك المرحلة عبر مقدمة وتسعة فصول آسرة المضامين، علمية التناول، حاذقة المنهج، ومن ثم خاتمة جملت كثيراً هذا الإصدار، إذ انشغلت المقدمة والتي تلاها تمهيد عام كل منهما بتفصيل نسبي عن وجهة نظر الدولة المهدية وسياستها التحديثية، والتي ورثت البريد بأدواته وموجوداته عن الحقبة الخديوية المصرية التي حكمت السودان لأكثر من ستين عاماً،

معرجاً على مدى الفائدة التي استفادها الخليفة عبدالله من الأدوات البريدية في ربط أطراف الدولة المهدية المترامية الأطراف خلال فترة حاكميتها للسودان، وتنساب بقية فصول الكتاب التسعة بتناغم وترتيب تاريخي وموضوعي محورها الرئيس بريد الدولة المهدية وإعادة اكتشاف ذلك الدور، فقد انشغل الفصل الأول في معالجة تنشئة البريد في عهد الخديوية المصرية في السودان (1821–1888م)، والخديوية المصرية مصطلح متعارف للحقبة التي حكمت أسرة محمد علي باشا وخلفائه السودان، وأسهمت في نقل السودان كما أورد مؤلفنا الصديق نحو المدنية والتحضر والتطور، وبلغة أنيقة يستعرض المؤلف نشأة مصطلح البريد في هذا الفصل وصولاً إلى نشأة التلغراف (البرق) عام 1863م مفصلاً وصول هذه الخدمة إلى كل منطقة في السودان، معززاً ذلك بثقافة الإشباع البصري المعزز للمعلومة التاريخية المتمثل بالصورة الفوتوغرافية لمعظم تفاصيل الفصل والكتاب، ومن اللافت في هذا الفصل بيان موقف الجماهير أو الأهالي من خدمة التلغراف والتي وصفها المؤلف بالقبول والرضى التام بما في ذلك الرضى من الأجانب ليختتم الفصل بمصادره ومراجعه وكأنه وحدة مستقلة كالبيت الشعري في القصيدة الجاهلية، بينما يأتي الفصل الثاني ليعالج جانب مهم للخديوية المصرية في السودان وهو المراكب والبواخر النيلية في فترة الخديوية المصرية في السودان (1821–1885م) ليشبع نهم المتلقي عن دور النيل النهر والتاريخ، الحياة والتأثير، في بريدية السودان آنذاك، ويستهل المؤلف هذا الفصل بمبرر قوي لانتعاش الاعتماد على السفن الشراعية والبخارية والمراكب وذلك بدافع الوصول إلى المناطق البعيدة في السودان كونها مترامية الأطراف، ليحمل القارئ بعدها على بساط النص التاريخي إلى الترسانة ؛وهي دار صناعة السفن في الخرطوم

الموكل إليها صيانة أسطول الحكومة من بواخر وسفن ومراكب، واللطيف في هذه التناولة أنها اتسمت بشمولية النقل النهري ووسائله ومخرجاته وعلاقة كل ذلك بالتطورات السياسية في البلد ومحاولة القضاء على الدولة المهدية بالاستعانة بتلك المراكب مفرداً جانباً مضيئاً لأشهر تلك المراكب وأدوارها ، بما في ذلك لطيف الخبر عن الأمراض التي صاحبت النقل النهري، ليذيل المؤلف هذا الفصل بما يزيد عن سبعة عشرة مصدراً يعزز مقارباته في ذاك الفصل، بينما جاء الفصل الثالث في مجمله ليتناول عتبة هامة من عتبات التحديث والتغيير في السودان الخديوي والمهدي وهي المطبعة الأميرية أو مطبعة الحجر ومع غياب المعطيات عن تاريخ محدد لدخول تلك المطبعة إلى السودان إلا أن المؤلف يرجح دخولها إلى السودان في عهد الخديوي إسماعيل، وكونها كذلك أهم مقتنيات الحكم التركي لتنثال تفاصيل الحديث عن هذه المطبعة بداء من ارتباطها بنشأة معمل صناعة الورق، ومروراً بربط الطباعة والورق بكل معاملات الدولة، مشيراً إلى المصطلحات الورقية والطباعية المستخدمة في ذلك العصر وانتهاءً بمطبعة الحجر ودورها في عهد الدولة المهدية، مسلطاً الضوء على الدور التنويري لتلك المطبعة بحيث شكلت الحامل الأساس للتنوير والتحديث في السودان في عهد الدولة المهدية، بما في ذلك طباعة المصنفات والكتب والوثائق الرسمية للدولة، وحتى تكتمل الصورة الذهنية لدى المتلقي فقد عزز المؤلف هذا الفصل بالعديد من الصور الفوتوغرافية المساندة بما في ذلك مطبعة الحجر ذاتها، و بعد تلك المقاربات والإنثيالات في الفصول الثلاثة السالفة الذكر، نجد المؤلف يجيد تلمس البدايات البريدية في عصر المهدية والذي حمل عنوان (ملامح بدايات البريد في الدولة المهدية)، وهي محاولة فاحصة ومتسلسلة لتتبع ملامح عمل البريد في تلك الحقبة والتي

حرص فيها كما يلمس القارئ على قراءة التداخل بين السياسي و الأمني والمذهبي في تكوين صورة أكثر جلاءً للبريد ودور المستعمر الأوروبي في نقل الخطابات وفطنة الخليفة عبدالله في توظيف ما ورثة عن الحقبة الخديوية، لاسيما في البريد في خدمة توجهات دولته وخلافته، ويلفت المؤلف القارئ إلى ارتباط نظام البريد في عهد المهدية بالديوان، وفي طيات استكشافات المؤلف لدور البريد فإنه كشف عن استخدام لافت للخليفة وهو ما عُرف بـ(الحرف)، وهو ما يوازي الشفرة في عالم الاستخبارات والجاسوسية، وكان يخص الخليفة وأمرائه.

وإذا ما عرجنا على الفصل الخامس وفق التسلسل المنطقي الذي أتحفنا به الكتاب، نجده مخصص لـ(كتاب الرسائل في الدولة المهدية)، وهو معالجة تتبعية لدور العنصر البشري في حقبة المهدية، بدءاً من كتاب الخليفة عبدالله، والذي كان يسمون بالمخصوصين، ثم كتاب الأمراء وتسميهم وجنسياتهم، مروراً بالكتبة في الجيش والسرايا ودورهم الذي وصفه المؤلف بالمهم، لاسيما الكتابة للأمراء القادة العسكريين وهى تدخل في باب الأسرار العسكرية ولابد لكتابها من مواصفات دقيقة، فضلاً عن معالجة لطيفة للأختام في عهد الدولة المهدية، وربط المؤلف انتشار استخدام الأختام بشكل واسع في المكاتبات البريدية آنذاك بانتشار الأمية بين أهل البلاد، مفصلاً الحديث عن تلك الأختام برسمها ووسمها وتشكيلاتها وأعدادها، ما يعطي القارئ صورة شاملة عن أختام المهدية ودورها المحوري كركن من أركان بريد المهدية الدولة آنذاك، ليختم ذلك الفصل الشيق بالتسهيلات المقدمة لحاملي البريد بين مناطق الدولة بمنحهم تصاريح خاصة تقدم بموجبة التسهيلات كافة لهم. بينما يعالج الفصل السادس زاوية خفية في بريد الدولة المهدية تمثلت بـ(دور المجموعات التي اشتهرت بخدمة البريد

في الدولة المهدية) وهي محاولة أنيقة لإعادة اكتشاف الدور الكبير والمؤثر لتلك المجموعات في انسيابية خدمة البريد بين مناطق الدولة، لاسيما القبائل الحدودية بين مصر والسودان كقبيلة العبابدة، بقسميها العبايدة العشابات والعبابدة المليكاب، ثمة ملمح مهم في هذا الفصل تمثل في إبراز القيمة الأمنية للبريد في خدمة أمن واستخبارات الخليفة، فحامل البريد لم يكن شخصية عادية في الدولة، بل كان يمثل عين وأذن الخليفة في مناطق الدولة المختلفة، ويرد في كتابنا هذا العديد من الشواهد المساندة لهذا الدور، ويتتبع المؤلف بريد العمالات الذي ينقسم إلى قسمين، الأول يختص بالأسرار العسكرية للعمالة (الإقليم) والقسم الثاني يختص بالمكاتبات العامة للدولة، ليتفرد المؤلف بإيراد صور وخرائط ومراسلات كانت تشكل مكون رئيس للمراسلات البريدية في عهد المهدية.

وبقراءة فاحصة للفصل السابع، نجد حاتم الصديق يخصصه للخيول ودورها في خدمة بريد المهدية، فيسرد تاريخ الخيول السودانية ومسمياتها، ومدى مناسبة الخيول المصرية للبيئة السودانية، وحتى لا يدع القارئ في حيرة من أمره فقد ربط دور الخيول بدور الإبل ذائعة الصيت في البريد السوداني ودورها في المعارك المهدية، ودوافع تكوين المهدي قوة الاستطلاع أو فرسان الاستطلاع، حيث بلغت ثلاثة آلاف فارس، بالإضافة إلى تفصيل مشوق لما عُرف بقوات الخيالة، ليعرج هذا الفصل على العناية بخيول البريد والإبل وأعدادها، وللمزيد من الموضوعية يفرد المؤلف عنواناً مستقلاً للمشكلات التي صاحبت عمليات البريد في عهد الدولة المهدية كالتعدي، وسرية الرسائل، وقطاع الطرق، وينشغل الفصل الثامن بدور الجمال في خدمة بريد المهدية وعلى منهج الفصل السابق من الخيول، مستعرضاً أشهر النوق والجمال في تاريخ السودان بما فيها ناقة المهدي، معرجاً على

استخدام الجمال أو ما عُرف بالهجانة في خدمة البريد والاستطلاع وكشف تحركات العدو، واللافت إشارة المؤلف أنه عندما يرغب أحد الهجانة في تغيير جمله يكاتب الخليفة مباشرة لأخذ موافقته.

وبذات النفس المشوق والمنهجي يأتي الفصل التاسع ليعالج الدور المفصلي للمراكب والبواخر في خدمة بريد الدولة المهدية، بما في ذلك سفريات البواخر والتي كانت تنطلق من أم درمان إلى مناطق السودان المختلفة وتكتب في شكل تقارير يومية مفصلة، ولأهمية البواخر يعالج الكتاب مسألة صيانتها ومهندسيها وترسانة السفن وعامليها، ويذيل هذا الفصل بلفتة لطيفة بأن الخليفة عبدالله كان يطلب سماع ساعي البريد قبل استلام الرسائل منه لأهمية مشاهداته وشهاداته. وبخاتمة أنيقة، يلملم المؤلف شتات كتابه الفريد في بابه ليعطي المتلقي صورة بانورامية شاملة عن فصول الكتابة ونتائجه ومعالجاته.

وفي الختام وأنا أستكمل قراءة هذا الكتاب المشوق يمكنني الذهاب باطمئنان أنه سيشكل إضافة نوعية للمكتبة السودانية والعربية، وسيفتح باباً للدراسات السودانية عن تفاصيل حضارية للبريد السوداني في حقب مختلفة، وسوف يسد مسداً لدى الباحثين والمهتمين بالشأن التاريخي السوداني والبريد السوداني.

والله من وراء القصد

أ.د. علي عبد الكريم محمد بركات

أستاذ التاريخ الإسلامي وحضارته المشارك،

جامعة إب، اليمن

قراءة

3

شرفني سعادة البروفيسور حاتم الصديق محمد أحمد وأهداني نسخة إلكترونية لمؤلفه القيم "البريد في الدولة المهدية بالسودان 1316 - 1302هـ /1885-1898م" الصادر عن دار آرثيريا للنشر والتوزيع في طبعته الأولى 2024م.

إن "البريد" منذ القدم من أهم صور ومعالم التواصل البشري بين الناس، ومعلم مهم من معالم حضارة الدول والشعوب، ولا سيما المجتمعات العربية الأولى، وهناك إشارات عدة في الشعر العربي القديم إلى البريد، من ذلك قول امرئ القيس:

ونادمت قيصر في ملكه

فأوجهني وركبت البريدا

إذا ما ازدحمنا على سكة

سبقت الفرانق سبقا بعيدا

تناول المؤلف في سفره نظم ووسائل البريد في عصر الدولة المهدية 1885-1898م، وقد كان للبريد في ذلك الوقت وظائف ومفاهيم وطرق مختلفة عن أنظمة البريد الحديثة.، وقد استوقفني عرض المؤلف للفصول المتنوعة المتعلقة بموضوع الكتاب، فقد عرض مؤلفه النقاط الأساسية دون إسهاب أو حشو، وجمع في طيات سطوره أبرز النقاط التي تتعلق بنظم البريد وطرائقه وكتاب

الرسائل وغيرها من الموضوعات الكفيلة بمعرفه مقاصد ما خُطت لأجله، بجانب ذلك يتمتع الكتاب بدقة متناهية أظهرت بجلاء القيمة التاريخية له.

جاء الكتاب في تسعة فصول سبقهم تمهيد عام. تناول المؤلف في التمهيد دور البريد في ربط أطراف الدولة المهدية في زمن لم تكن تتوافر فيه وسائل الاتصال الحديثة.

أما الفصل الأول، فقد جاء تحت عنوان البريد في عهد الخديوية المصرية في السودان قدم من خلاله المؤلف أصل ومفهوم كلمة "بريد" وتناول نظم البريد والتلغراف في هذه الحقبة الزمنية، وركز محتوى الفصل على جوانب تاريخية في غاية الدقة.

وفي الفصل الثاني الذي جاء بعنوان البواخر النيلية في فترة الخديوية المصرية 1821 1885م، تناول المؤلف أهم المباني المتعلقة بنظام المواصلات والبريد والتي تعرف بالترسانة او دار صناعة السفن، ومناطق إنشائها في السودان والمجهودات التي بذلت لصناعة المراكب، وأسماء السفن التي استخدمت في ذلك الزمان

وفي الفصل الثالث تحدث المؤلف عن المطبعة الأميرية (مطبعة الحجر) في عهد الخديوية المصرية في السودان والتي تعد من ضمن أهم مقتنيات الحكم التركي المصري في الخرطوم، والتي اسهمت فيما بعد في دفع الحركة الفكرية في دولة المهدية 1885___1898م.

وتناول في الفصل الرابع ملامح بدايات البريد في الدولة المهدية.

وفي الفصل الخامس استعرض المؤلف أشهر كتاب الرسائل في الدولة المهدية، ولا سيما أولئك الذين تميزوا بالدقة والمحافظة على الرسائل

الصادرة والواردة، بالإضافة إلى كتاب الجيش والسرايا في الدولة المهدية، والتسهيلات التي كانت تقدم لحاملي البريد.

وفي الفصل السادس تناول المجموعات التي اشتهرت بخدمة البريد في الدولة المهدية، بجانب دور البريد في خدمة الأمن والاستخبارات.

وفي الفصل السابع والثامن والتاسع استعرض المؤلف على التوالي: الخيول، الجمال، المراكب (البواخر) في خدمة البريد في الدولة المهدية بأسلوب علمي وتاريخي رصين.

حقيقة من خلال ما تناوله المؤلف في كتابه تضح الأهمية التي تكمن في إثراء تاريخ السودان المعرفي، وتكملة لجوانب كتب التراث والتاريخ عامة، وقد قدم معلومات مهمة للغاية في جوانب عديدة. واعتقد أن هذا المؤلف يعد المصدر الأساسي الوحيد الذي تناول بالدقة والتفصيل والشمول موضوع: البريد في الدولة المهدية 1885-1898م.

ولم يغب عن المؤلف الجانب التوضيحي والبياني، فقد احتوى الكتاب على رسومات توضيحية عديدة في غاية الأهمية، بجانب الخرط التاريخية والجغرافية. ولم يغفل المؤلف في سرده التاريخي لموضوعات الكتاب عن الأسلوب الأدبي والتشكيلي الرفيع.

وقد اعتمد المؤلف على عدد كبير من المخطوطات والمصادر والمراجع العربية والأجنبية، بالإضافة إلى اعتماده على الوثائق المكتوبة إذ بلغ عددها في مؤلفه ست وثلاثين وثيقة، وهي بلا شك تعد المصدر الأول لأي بحث تاريخي، بل هي شاهد العيان الذي ينقل تفاصيل الحدث التاريخي بزمانه ومكانه وأشخاصه وجزئياته دون زيادة أو نقصان.

عمومـا إن الكتـاب يعـد مـن الموضوعـات المهمـة في تاريـخ السـودان في فتـرة المهديـة، فعبـره تُقـام جسـور الوصـل بـين الماضـي والحاضـر لمعرفـة مسـيرة التطـور الإنسـاني وبنـاء حاضـر الأُمم ومسـتقبلها. وبالتالـي يعـد مرجعـا جديـرا بالاقتناء لتمكن مؤلفه البروفيسـور حاتم الصديق، أسـتاذ التاريخ في الجامعات السـودانية والمؤرخ المشـهود لـه بالكفـاءة في المحافـل المحليـة والعربيـة.

وفي الختـام أهنـئ البروفيسـور حـاتم الصديـق محمـد أحمـد علـى هـذا المؤلـف التاريخـي الرصـين السـلس، والاختيـار الموفـق وعلـى الاجتهـاد والمثابـرة، ونتطلـع إلـى المزيـد.

د. صلاح التوم إبراهيم

كسلا

مركز بحوث ودراسات دول حوض

البحر الأحمر – السودان

27 يوليو 2024م

قراءة

4

قراءة وصفية شارحة في كتاب: البريد في الدولة المهدية. لمؤلفه بروفيسور. حاتم الصديق محمد أحمد.

يسعدني تناول كتاب الأستاذ الدكتور حاتم الصديق محمد أحمد الذي حمل عنوان (البريد في الدولة المهدية في السودان، من1302هجرية إلى 1316 هجرية الموافق-1885-1898م) والذي صدر في العام الحالي 2024م، في طبعته الأولى، وتأتي أهمية هذا الكتاب من الآتي:

أولاً: مؤلفه يعد أبرز المساهمين من الجيل المعاصر من المؤرخين الذين تصدوا للتوثيق لتاريخ الدولة والثورة المهدية في السودان، وهو صاحب مؤلفات عديدة وثقت لسيرة ومسيرة قادة الثورة والدولة المهدية ومؤسساتها الكبري التى أساسها الإمام محمد أحمد المهدي، من وحي اطلاعه على الوثائق الخاصة بتلك الفترة، وهذه معلومة لا تفوت على فطنة القاري المتابع لإصدارات المؤلف.

ثانيا: كذلك تأتي أهمية هذه الدراسة من الجدة والأصالة وتفردها في تناول موضوع البريد وهو من الموضوعات التي لم يتم تناولها من جانب الباحثين الوطنيين أو الأجانب بخلاف دراسة وحيدة ترجمها الأستاذ الدكتور الهاشمي.

قسم المؤلف الكتاب إلى مجموعة من الفصول، ومقدمة تحدث فيها عن أسرة الباشا محمد علي مؤسس الأسرة العلية الخديوية وخلفائه الذين تعاقبوا من بعده على عرش مصر العثمانية وحكم ولاية السودان إنابة عن السلطان العثماني، وقد خلص المؤلف فيها إلى أن نهضة كبرى انتشرت في جميع ربوع السودان على الرغم من وجود مساوي كبيرة أدت في مجملها لإشعال فتيل الثورة المهدية.

وقد جاءت فصول هذا الكتاب مسبوقة بخلفية تاريخية هامة لفائدة القارئ في الفصل الأول الذي حمل عنوان (البريد في عهد الخديوية المصرية في السودان1821-1885م) مخالفا سابقيه من المؤرخين الذين تناولوا هذه الفترة في هذه التسمية، حيث درج مؤرخي العهد التركي على استخدام مصطلح (الحكم التركي المصري) أو (التركية السابقة) في السودان.

وقد شرح المؤلف في هذا الفصل و بين آراء الكتاب العرب القدامى في بيان معنى مصطلح بريد (بريد ذنب) مبينا أصولها الفارسية، وبين اسهام العرب المسلمين في تطوير خدمة البريد، وقد نسب لمعاوية بن ابي سفيان مؤسس الدولة الأموية اسبقيته في استخدام البريد (المنظم) وقد أوضح ارتباط نظام البريد بنظام الحكم في السودان التركي المصري، بحث أصبح احد أدواته المهمة المرتبطة بالعمل العسكري والمدني، موضحا خرائط توزيعه والنظام التشغيلي له في السودان في عهد خديوي مصر محمد سعيد باشا، الذي وصفه المؤلف بأنه رائدا لتطوير خدمة البريد في السودان.

وشهد السودان التركي المصري في عهد الحكمدار جعفر صادق تطورا لنظام البريد في السودان وقد تم فتح مكاتب بريدية (البوستة) فى بعض المدن السودانية بجانب مكتب سواكن الرئيس. هذا بجانب توفير خدمة

التلغراف في معظم مديريات البلاد وذلك في 1863م، حيث ظلت هذه الخدمة تعمل بكفاءة عالية مستخدمة اللغة التركية في مراسلاتها واللغة العربية في احيان أخرى، وذلك حتى قيام الدولة المهدية. ووجد التلغراف قبولا من طالبي الخدمة والمستفيدين منها ومن الذين عبّروا عن ارتياحهم لها أحد الأجانب في مدينة الأبيض قائلاً (إننا أقرب ما نكون للوطن ونحن هنا في مقامنا في الأبيض ما دمنا قادرين على الإتصال البرقي بلندن) وخلص الكاتب بأن نظام البريد في السودان حقق أهدافه الداخلية في ربط المركز بالأطراف وفي ربط السودان بمحيطه الخارجي حيث كانت أخبار السودان تتسرب للرأي العام البريطاني خاصة والأوروبي عامة، مثل قضية إيقاف تجارة الرقيق التي شغلت الرأي العام هناك. وأشار لخدمة مواطنه عثمان أزرق الذي أصبح أحد قادة الدولة المهدية لاحقا في مجال العمل البريدي، وكذلك لجقلر باشا الذي كان أحد أعمدة النظام الإدارية والعسكرية في السودان التركي المصري وأول الذين تصدوا لثورة الامام المهدي في مهدها في الجزيرة أبا.

واحتوى الفصل الثاني للكتاب على موضوعات متنوعة خاصة بصناعة السفن النهرية تعرف بعناصر تلك الحرفة، والمراحل التاريخية التي مرت بها، ودورها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية خلال ذلك العهد، نجد في السودان أينما كانت الأنهار تجد المراكب النيلية، فمن المؤكد أن عمرها الحالي هو عمر النهر الخالد، وإن بدايتها سحيقة في التاريخ، ولديها مبرراتها الحياتية في الاقتصاد، كما أنها تعمق أواصر الصلات الاجتماعية وتبادل المنافع. وتبسط سيطرة الدولة بين مركزها واطرافها النيلية.

إن حرفة صناعة السفن، وما يرتبط بها من أدوات ووسائل، كالمراسي والمسامير والمناشير والمطارق والأزاميل والمجادح والسلاسل والأقفال وغيرها، من الحرف النهرية والبحرية العريقة، التي عرف بها السودانيون منذ أزمان سحيقة، فهي حرفة لها تاريخ، وعليها اعتمدوا في حياتهم ومعاشهم، وحولها نشأت تقاليد عريقة. حيث كان حي (المنجرة) في الخرطوم القديمة في العهد التركي المصري من أكثر الأحياء حيوية يعج بالناس والحركة وأصوات نقر الخشب بالآلات البدائية التي تشكله هياكل للقوارب.

بدأت عناية محمد علي بإحياء البحرية المصرية منذ شرع في خوض غمار الحرب الوهابية فقد رأى إن إنفاذ الجنود إلى الحجاز يقتضي إعداد السفن لنقلهم عن طريق البحر الأحمر، فبادر إلى انشاء ما استطاع من السفن في دار الصناعة (ترسانة) بحي بولاق بعد أن عمر هذه الترسانة، فأمر بتجهيز القطع اللازمة من الخشب فيها ثم بنقلها على ظهور الإبل إلى السويس ليتم تركيبها هناك وتنزل إلى البحر، فكانت هذه السفن هي النواة الأولى للأسطول المصري في عهد محمد علي.

فالبحرية المصرية بدأ ظهورها وتكوينها في تاريخ مصر الحديث اوائل سنة 1810م ، ولقد كان لهذه العمارة فضل كبير في نجاح الحملة الوهابية لأنها صلة الاتصال بين مصر وجنود الحملة في الحجاز، وهي التي مكنت مصر من السيطرة على البحر الاحمر وثغوره.

حمل هذا الفصل عنوان (المراكب والبواخر النيلية في فترة الخديوية المصرية في السودان من 1821م-1885م) وقد وجدت السلطة الجديدة قطر مترامي الأطراف متقطع الاوصال، فكان لابد من لم مشيخاته وسلطناته بنظام اداري مركزي، لكن كان لابد من ايجاد وسيلة لنقل واستلام الأوامر

والمهمات الصادرة من الدولة ومن هذا المنطلق يقول المؤلف تم الاهتمام بالنقل النهري في جميع المناطق النيلية، وتم إنشاء الترسانة (دار الصناعة) لبناء السفن التي تحتاج لها السلطة الجديدة.

وتم إنشاء أول ترسانة على النيل الأبيض في المنطقة الممتدة ما بين القطينة والجزيرة ابا، ويرجح أنها في قرية (ودشلعي) على النيل الأبيض جنوب الخرطوم، حيث تتوفر في هذه المنطقة المواد الخام خاصة اخشاب السنط، وكذلك تم إنشاء ترسانة أخرى في مدينة سنار على النيل الأزرق لصناعة المراكب، وبذل محمد علي باشا الكثير من النصح و الأوامر المشددة لتطوير هذه الصناعة، ونتيجة لهذه الجهود الحكومية الكبرى التي وفرت خبرات أجنبية أوروبية بجانب العنصر الوطني والمصري، وادخال الذهبيات(المراكب السفرية الكبيرة) في مهام اكتشاف مجرى النيل الأبيض ، تطورت هذه الصناعة تطورا كبيرا خاصة في شمال السودان مما مكن الدولة من التواصل مع محيطها الجغرافي. خاصة المناطق البعيدة مثل مديرية خط الاستواء، وتعد الباخرة التي حملت مسمى(البردين) أشهر الاوعية النهرية التي خدمت في فترات حكم السودان المختلفة. ونجد عندما حاصر المهدي الخرطوم تم استخدام هذه السفن لتصير قطعا حربية تشارك في القتال في صف غردون باشا ولاحقا في حملة انقاذه الفاشلة، كذلك تم استخدامها معتقلا تحفظيا على الطلاب الثوار في كلية غردون، وقد تم ترميم الباخرة البردين في العام 1930م لتعود لسيرتها الأولى حيث اصبحت قبلة مفضلة للسواح.

في فصل الكتاب الرابع الذي حمل مسمى المطبعة الاميرية المعروفة بمطبعة الحجر في السودان والتي لا يعرف تاريخ دخولها للسودان خلال الحكم

المصـري، ويرجـح انهـا دخلـت في عهـد الخديـوي اسـماعيل واصبحـت اهـم مؤسسـات الحكـم التركـي المصـري في السـودان، وقـد كان مرفـق معهـا معمـل لصناعـة الـورق لتغطيـة احتياجـات الحكومـة حيـث أصـدر غـردون باشـا عبرهـا سـندات ماليـة عرفـت باسـم (صكـوك غـردون) بديـلاً عـن العمـلات المعدنيـة، وعنـد قيـام محمـد أحمـد المهـدي بثورتـه تم اسـتغلال المطبعـة في اصـدار المنشـورات والتحذيـرات المناهضـة لثورتـه،

وعنـد نجـاح الثـورة المهديـة نقلـت المطبعـة الـى بيـت الامانـة ضمـن اسـام أخـرى وقـد ارتبطـت الثـورة المهديـة ارتباطـا وثيقـا بالبريـد حيـث طبعـت منشـورات الإمـام المهـدي وخليفتـه وراتـب الامـام المهـدي، بينمـا كان قسـم الهجانـة العمـود الفقـري لحركـة البريـد في عهـد الدولـة المهديـة، ويمكـن القـول إن مطبعـة الحجـر لعبـت دورا ثقافيـا كبيـرا في الدولـة المهديـة حيـث طبعـت دواويـن الشـعر والمدائـح والخطـب المنبريـة وتفسـير القـرآن وغيـر ذلـك مـن أوجـه الثقافـة.

وخلاصـة القـول في هـذه المسـاهمة التقديمـة لهـذا الكتـاب يمكـن القـول إن الثـورة المهديـة بجانـب أنهـا ثـورة وطنيـة جهاديـة يمكـن أن نقـول إنهـا ثـورة بريديـة بـل ابنـة لبريـد السـودان حيـث وفـرت لنـا ثـروة وثائقيـة لـولا هـذا النظـام لـم حصلنـا عليهـا ونأمـل أن يفتـح هـذا التقديـم البـاب واسـعا للاطـلاع علـى الكتـاب مـن قبـل المختصـين والباحثـين والمهتمـين والـذي يمثـل توثيقـا مهمـا لمؤسسـات الدولـة الحديثـة في السـودان.

مراجع تمت الاستفادة منها في هذا التقديم:

- حافظ. البريد من مؤسسات الحضارة الإسلامية. جامعة القاهرة.
- عثمان الأسباط. مراكب السودان تعبر الزمن وترسو في المرفأ الصعب. https://www.independentarabia.com/
- أحمد طه. صناعة القوارب الخشبية فن تراثي عريق. الخرطوم. 2005م.
- محجوب محمد صالح. الدولة الحديثة في السودان التاريخ والنشأة.
- عبود عثمان نصر، حكاية أشهر طابع بريد سوداني صدر في عهد كتشنر 10 سبتمبر.
- أحمد عمر عبد الرحيم. ذكرى اصدار طابع الجمل. صحيفة الديموقراطي. www.democratsudan.com
- البريد والبرق في السودان عبر العصور
- صناعة القوارب الخشبية فن تراثي عريق. مركز الاتحاد للأخبار. 11 يوليو

لتحميل الكتاب:

https://rsbcrsc.net/books/book?fbclid=IwY2xjawE5GIMBHXCTuNyRjC-2MdhtOmtInGBr73eoqnLtjVtJ5m0GRwASZ4-KWLavhxFMQAg&page=15

د. فتح الرحمن العراقي

كلية الآداب – جامعة الجزيرة

قراءة

5

يُعد هذا الكتاب دراسة توثيقية وتحليلية لنظام البريد في الدولة المهدية (1885–1898) في السودان، وهي فترة شهدت تحولات سياسية وإدارية مهمة بعد نجاح الثورة المهدية بقيادة الإمام محمد أحمد المهدي.

يبحث المؤلف في كيف نشأ وتطوّر البريد كمؤسسة وظيفية في كنف دولة قائمة على مبادئ دينية ووطنية، رغم التحديات الجغرافية والاقتصادية والسياسية في تلك الحقبة.

يعد هذا الكتاب الذي جاء بعنوان البريد في الدولة المهدية بمثابة اعادة لتاريخ وحقبة وطنية هامة في تاريخ السودان الحديث والمعاصر لكاتبه الباحث الأخ الهمام المثابر بروف حاتم الصديق محمد احمد والمتميز دوما في اطروحاته ومساهماته ومؤلفاته التي اثرت سوح العلم والمكتبات. صدر هذا الكتاب ليوضح للقارئ تلكم المرحلة الهامة في تاريخ السودان عبر مقدمة وتسعة فصول وتمهيد بصورة مفصلة عن فترة الدولة المهدية والسياسات التي صاحبتها بما فيها البريد في عهد الخديوية المصرية التي حكمت السودان لأكثر من ستين

عاما والأثر الذي أظهره البريد في ربط الدولة في كافة اطرافها خلال فترة حكمها يستعرض المؤلف تاريخ نشأة البريد قبل المهدية كما يستعرض البنية التحتية السابقة التي ورثتها الدولة المهدية من الحكم التركي-المصري.

تنظيم البريد في عهد المهدي وخليفته عبد الله التعايشي يوضح كيف استُخدم البريد كوسيلة اتصال إدارية وعسكرية، وأحيانًا كأداة استخباراتية. يشير الكتاب إلى اعتماد الدولة على وسائل تقليدية مثل الجمال والرسل، ويشرح طرق نقل الرسائل داخل السودان، خصوصًا بين أم درمان ومناطق النفوذ المهدوي.

لعب البريد إبان تلك الحقبة الدور الأمني والسياسي اذ يبين كيف كانت الرقابة على المراسلات أداة لضبط الولاء السياسي والشرعي للدولة. صاحبت تلك الفترة صعوبات وتحديات ذكر الكاتب والمؤلف عددا منها من بينها صعوب التضاريس وقلة الموارد، والتهديدات من القوات الغازية أو المتمردة.

يكتسب هذا العمل القيم المتميز أهميته وقيمته من كونه يوثّق جانبًا إداريًا قلّما تناولته الدراسات حول الدولة المهدية، إذ ركزت معظم المؤلفات السابقة على الجوانب العسكرية أو الدينية.

كما أن الكتاب يرفد المكتبة السودانية بمصدر مرجعي عن تطور وسائل الاتصال في السودان قبل دخول الحداثة الغربية الممثلة في التلغراف والبريد الحديث.

يأتي كتاب «البريد في الدولة المهدية بالسودان» كإضافة نوعية في حقل الدراسات التاريخية السودانية، حيث يسلط الضوء على جانب إداري مهم في تجربة الدولة المهدية (1885–1898)، ألا وهو نظام البريد في هذا الكتاب الصادر 2024م يقدم الكاتب قراءة تحليلية وتوثيقية لكيفية تنظيم البريد، والوسائل المستخدمة، ودوره السياسي والإداري والتحديات التي واجهها في

بيئة تتسم بشح الموارد واتساع الرقعة الجغرافية وكخلفية تاريخية تأسس هذا النظام البريدي المهدوي على أنقاض البنية التحتية التي خلفها الحكم التركي- المصري.

استفاد نظام البريد مما ورثه من مقتنيات الخديوية المصرية في السودان مثل الورق والخيل والجمال (الهجانة)هذا ما يؤكد أن الدولة المهدية لم تبدأ من فراغ، بل استثمرت فيما تبقى من النظام السابق لبناء جهاز بريد يخدم أهدافها السياسية والدينية في تلك الحقبة المهمة من التاريخ.

عمد الخليفة عبدالله على مركزية وربطه بالديوان إذ أن البريد لم يكن مجرد وسيلة لنقل الرسائل بل جزء من بنية الدولة المركزية المرتبطة بالخليفة مباشرة.

ارتبط نظام البريد في الدولة المهدية بالديوان وقد عملت على إغلاق جميع مكاتب البريد التي كانت منتشرة في أنحاء السودان عدا سواكن ودنقلا ويُفهم من ذلك أن المهدية كانت حريصة على مركزة المعلومات والسيطرة على قنوات التواصل.

ابتكر الخليفة عبدالله أدواتاً ونظامًا يُعرف بـ" الحرف" وهو شكل بدائي للتوثيق والتحقق من الرسائل الرسمية هو عبارة عن حرف يتم الاتفاق عليه بين الخليفة وبينه العامل في العمالة المحددة، ويقوم بحمله ساعي البريد(الهجان) مثل هذا الشكل تقليدًا بسيطًا لكنه فعّال في حماية الرسائل من التزوير أو التلاعب.

رغم محدودية الوسائل التقني استخدم البريد المهدوي خيولا وجمالا وحتى المراكب النيلية.

لعبت الخيول والجمال دوراً مهماً في نقل البريد بالإضافة إلى البواخر والمراكب كعنصر دعم لنظام النقل.

هذا التنوع في الوسائل يُظهر مرونة النظام وتكيّفه مع الجغرافيا الصعبة.

اعتمد النظام على أشخاص موثوقين في مهام نقل الرسائل ومن أهم الشخصيات التي اعتمد عليها الخليفة

عبدالله بشير العبادي من قبيلة العبابدة ان ساعي البريد الرئيس للخليفة عبد الله وصاحب مكانة كبيرة.

مما يبيّن أن الثقة الشخصية كانت عنصرًا أساسيًا في اختيار العاملين في هذا القطاع بالرغم من النقد الأوروبي للنظام المهدوي إلا أن هناك تقييم نقدي واعترافًا بفعاليته يعد سلاطين باشا من أشهر الناقدين ووصف نظام البريد في الدولة المهدية بأنه نظام متخلف، لكنه استطاع أن يربط أجزاء الدولة المختلفة وهذا يُبرز أحد جوانب القوة في إدارة الدولة المهدية رغم بدائيتها التقنية أبان تلك الحقبة.

ختاما يمثل هذا الكتاب مرجعًا مهمًا لفهم عدد من الجوانب لم تحظَ بالاهتمام الكافي في تجربة الدولة المهدية مثل الإدارة والبنية التحتية والخدمات فبالرغم من بساطة الوسائل، استطاع النظام البريدي أن يخدم أهداف الدولة ويوحد أطرافها.

يعد هذا الكتاب المتفرد الشائق اضافة كبيرة للمكتبة السودانية كما يعد مرجعا سخيا للدارسين والمهتمين بالتاريخ والبريد السوداني.

حقاً إنها تجربة تستحق الوقوف عندها لا من باب تمجيد الماضي بل لفهم كيف تُبنى الدول وتدير شؤونها في أصعب وأقسى الظروف التي تحيطها من كافة الجوانب.

د. ميمونة علي محمد الزيدابي

أستاذ المناهج وطرق التدريس جامعة شرق كردفان

22 ذو القعدة 1446هـ/ الموافق 2025/5/20م

قراءة

6

قراءة في كتاب البريد في الدولة المهدية بالسودان (1302 - 1316هـ/1885-1898م) للكاتب البروفيسور حاتم الصديق محمد أحمد الطبعة الأولي 2024م الصادر عن دار آريثيريا للنشر والتوزيع.

في البريد تنساب الحروف كأنها درر

ومراسلات تحمل شوقا وعَبَر

كل رسالةٍ قصة وجدانٍ وسهر

تنقش في ذاكرة الأيام أروع الصور

في هذه الأبيات يُحتفى بالبريد كوسيلة تتخطي حدود الزمان والمكان، تحمل في طياتها الدفء الإنساني وتعكس عمق المشاعر المنقولة بهذا البريد.

يعتبر البريد من العوامل المهمة في نهضة أي دولة، خصوصا في زمن ما قبل الثورة الرقمية وتطور الاتصالات، كما يعتبر مظهراً من مظاهر تقدم الشعوب لربطه بين المؤسسات والجماعات والأفراد داخلياً وخارجياً.

تناول المؤلف البريد في الدولة المهدية موضحاً كيف كان وسيلة تواصل حيوية لنقل المعلومات والأوامر، فقدم بحثاً تفصيلياً عن آليات الإتصال والإدارة عبر نظام البريد وكيفية بناء وتطوير نظام اتصالات في ظل تحديات وظروف بالغة التعقيد مثل الحرب وقلة الموارد وبعد الأماكن.

معظم الدراسات التي تناولت فترة الدولة المهدية - وهي فترة مفصلية وحاسمة في تاريخ السودان - ركزت على الجوانب الدينية والسياسية، ومن هنا جاءت أهمية هذا الكتاب في أنه ألقى الضوء على موضوع غير مطروق ومهم للغاية في تلك الفترة فلم يكن البريد مجرد وسيلة تواصل بل كان سبباً قوياً في إرساء دعائم الدولة المهدية فقدّم بذلك إسهاماً جديداً في تاريخ الاتصالات والتواصل.

جاء الكتاب في تسع فصول، الفصل الأول جاء بعنوان (البريد في عهد الخديوية المصرية في السودان) تحدث فيه المؤلف عن أصل كلمة «بريد» مع تناوله لأنظمة البريد والتليغراف في هذا العهد بسرد تاريخي دقيق.

أما الفصل الثاني جاء بعنوان البواخر في فترة الخديوية المصرية (1821م - 1885م) تناول فيه المؤلف ما يسمي بالترسانة أو دار صناعة السفن التي تعتبر من أهم المباني في نظام المواصلات والبريد وكذلك مناطقها في السودان وأسماء تلك السفن.

وفي الفصل الثالث تحدث المؤلف عن المطبعة الأميرية (مطبعة الحجر) في العهد الخديوي في السودان والتي كانت من أهم مقتنيات ذلك العهد واعتمدت عليها الدولة المهدية بصورة رئيسة، إذ ازدادت طباعة العديد من الكتب والمنشورات والرسائل مما أسهم في دفع الحركة الفكرية في الدولة المهدية.

في الفصل الرابع تناول المؤلف سمات وملامح بدايات البريد في الدولة المهدية. في الفصل الخامس تناول المؤلف كُتَّاب الرسائل في الدولة المهدية الذين كانوا يتبعون للخليفة عبد الله مباشرة.

في الفصل السادس وضح المجموعات التي اشتهرت بخدمة البريد في الدولة المهدية حيث أورد أسماء بعض القبائل التي أسهمت في حمل بريد الدولة المهدية والمحافظة عليه مما كان له الدور المهم في خدمة الأمن والاستخبارات.

في الفصول السابع والثامن والتاسع أورد المؤلف علي التوالي الخيول، الجمال، المراكب، والبواخر ودورها في خدمة البريد في الدولة المهدية مع سرد تاريخي دقيق.

قدم الكتاب معلومات دقيقة في جوانب عديدة مع رسومات توضيحية وخرط جغرافية وتاريخية وعدد كبير من المخطوطات وصور بديعة تعبر عن حركة الرسائل ووضّح جلياً بأن للبريد قيمة تتعدي وظيفته كوسيلة لنقل الرسائل فقط، فقد كان روحاً للتجدد والتطور ومنح القارئ فرصة التعرف على أساليب للتواصل تجمع بين الخطاب الرسمي والتعبير الأدبي مما يجعل من كل رسالة بريدية قصة تروى، وكيف يمكن لرمزية الأدوات أن تعكس عمق التحولات الحضارية.

هنادي السر الحسين مصطفي

اختصاصي في علم النفس

مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر

الأحمر – السودان

22 - مايو - 2025

قراءة

7

يعتبر عنوان الكتاب البريد في المهدية عنوانا واضحا ومناسبا لمحتوي الكتاب وعنوانا مباشرا ومختصرا وجذابا للمهتمين بهذا المجال. ما فيما يختص بموضوع الكتاب تناول الكتاب البريد في المهدية بصورة واضحة ومعبره حيث احتوي الكتاب على صور ووثائق عمقت ووضحت المضمون بطريقه مباشرة وكيفية إرسال البريد حيث كان يتم إرساله بالجمال والبواخر النيلية.. بالإضافة الي الطوابع البريدية كمطبعة الحجر والتي من خلال شرحها ينقلك المؤلف لذات العصر وكأنك تعيش فيه كذلك قدم الكتاب الاشخاص الذين كانوا يعملون في البريد آنذاك.

اما بالنسبة للإسهام الكتاب في المكتبات السودانية فإن للكتاب تأثير كبير لاحتوائه على معلومات قيمة حول تاريخ السودان حيث انه يعزز البحث العلمي في مجال البريد والطوابع البريدية في دولة المهدية كما انه يعزز الوعي الثقافي إذ يعد مفيدا للمهتمين بالتاريخ السوداني كذلك يمكن أن تستفيد منه المكتبات الوطنية في الدول العربية الأخرى ومكتبات الجامعات والمكتبات المتخصصة بمجال التاريخ.

اما فيما يتعلق بالإضافات الجديدة التي اشتمل عليها الكتاب اشتماله على صور ووثائق تاريخية مما يتيح للقراء فرصة الاطلاع على تفاصيل أكثر.

وأخيرا كتاب البريد في المهدية للمؤلف البروفسير حاتم الصديق محمد احمد من الكتب الممتعة جدا ويوفر فرصة لفهم أعمق لدور البريد في

المهدية مما يسهم في تعزيز المعرفة التاريخية والثقافية لهذه الحقبة من التاريخ السوداني.

ومما لفت نظري توثيق الكتاب نهاية كل فصل من فصول الكتاب خلافا للكتب والمصادر الأخرى التي يكون التوثيق فيها في نهاية الكتاب مما آثار إعجابي كشخص مختص بعلم الوثائق والتوثيق.

د. تقوي محمد ابراهيم احمد

استاذ مساعد جامعة النيلين

مايو2025م

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribuation

الناشر
دار آريثيريا للنشر والتوزيع – الخرطوم – السـودان
جوال: 00249122094856 - 121566207
البريد إلكتروني: arithriaforpublishing@gmail.com

من خلال استعراضنا في هذا الكتاب للقراءات في البريد في المهدية توضح لنا جوانب جديدة لموضوع البريد، فقد رصد وحلل الدكتور محمد الواثق عبدالحميد الجريفاوي في عرضه الشامل المناهج العلمية التي استند عليها المؤلف في دراساته المختلفة في فترة المهدية في السودان، مؤكداً أن البريد كان عنصراً أساسياً في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في القرن التاسع عشر الميلادي بالسودان. وأن الكتاب يعتبر مرجع مهم ورئيس لفهم نظام البريد في تنظيم الدولة المهدية. ولفت الانتباه البروفيسور/ على عبد الكريم محمد بركات في قراءته المتميزة إلى جانب مهم برز في إصدارات الكاتب الأخيرة وهو ثقافة الإشباع البصري المعزز للمعلومة التاريخية المتمثل بالصورة الفوتوغرافية لمعظم تفاصيل الكتاب، وأشار إلى أن هذا الكتاب سيفتح باباً للدراسات السودانية عن تفاصيل حضارية للبريد في السودان في حقول مختلفة. وفي ذات التوجه أضاف الدكتور/ صلاح التوم إبراهيم إهتمام الكاتب بالجانب التوضيحي من رسومات توضيحية في غاية الأهمية بجانب الخرط التاريخية والجغرافية واعتماده على الوثائق كمرجعية للكتاب الذي يعد مصدراً جديراً بالاقتناء.

APD
دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribuation